وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والأثار

# المؤرخ ناصر الدين سعيدوني وموقفه من بعض قضايا التاريخ الوطني

**مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر**

**تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر**

إعداد الطالبة:
نوال بوعبدلي

إشراف الأستاذ الدكتور:
قن محمد

**الموسم الجامعي: 2026/2025م**

**1447_1446هـ**

## الإهداء

أهدي هذا البحث إلى أسرتي العزيزة التي كانت دائما مصدر الحب والدعم والتحفيز.

إلى والدي العزيزين، حفظ الله من هو حي، ورحم من رحل وجعل مثواه الجنة.

كما أهدي هذا العمل إلى كل من شجعني ووقف بجانبي من الأهل والأصدقاء وشاركني لحظات التعب والإنجاز، وإلى كل من يؤمن بأن العلم طريق للنور والتغيير.

نسأل الله أن يجعل هذا الجهد خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به كل من يقرأه.

## شكر وعرفان

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والشكر له سبحانه على ما أنعم به علينا من فضل وتوفيق وتيسير مصداقا لقوله تعالى:

﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾.

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان إلى الأستاذ الفاضل (قن محمد فاتح) الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة، في مختلف مراحل إعدادها، ولم يبخل علي بتوجيهاته، القيمة ونصائحه السديدة وإرشاداته المفيدة.

فجزاه الله عني خير الجزاء ووفقه لكل خير وزاده من فضله وكرمه.

كما يشرفني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة وعلى رأسهم رئيس اللجنة، وإلى جميع الأعضاء المحترمين على تفضلهم بمناقشة هذا العمل وإثرائه بملاحظاتهم وتوجيهاتهم، كما أخص شكري للأستاذ الفاضل هزرشي بن جلول الذي ساعدني ودعمني في إنجاز هذه المذكرة.

# مقدمة

**مقدمة:**

شكّل التأسيس لمدرسة تاريخية جزائرية مستقلة مشروعا حقيقيا لدى جيل من المؤرخين الجزائريين الذين نشأوا في ظل الاستعمار وعايشوا مرحلة بناء الدولة الوطنية، فأدركوا أن استعادة التاريخ من الرواية الاستعمارية لا تتحقق بالحماس الوطني وحده، بل تستلزم قبل كل شيء أدوات منهجية صارمة ورؤية نقدية واضحة.

وفي هذا السياق، برز جيل من المؤرخين الأكاديميين الجزائريين الذين أرسوا قواعد الكتابة التاريخية العلمية في الجزائر المستقلة، وكان الدكتور ناصر الدين سعيدوني في طليعة هذا الجيل التأسيسي، إذ تميّز عن أقرانه بانشغاله العميق بمسألة المنهجية التاريخية وإشكالية النص التاريخي في الفكر العربي، وهو انشغال نظري لم يكن شائعاً في الكتابات التاريخية الجزائرية آنذاك.

وقد اقترن هذا الاهتمام المنهجي بتخصص علمي متميز جعل منه رائداً للدراسات العثمانية في الجزائر، في حقبة كان فيها هذا الميدان البحثي شبه مغفل في الدراسات الأكاديمية الجزائرية. ومن هذين الركيزتين معاً، المنهجية والتخصص، تشكّلت شخصيته العلمية وتبلورت مواقفه من القضايا التاريخية الوطنية الكبرى التي تناولها بالدراسة والتحلي.

1-**دواعي اختيار الموضوع:** يمكن تقسيم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

**أ_ الأسباب الذاتية:**

- ✓ الميل الشخصي إلى دراسة التاريخ الوطني الجزائري، والرغبة في التعرف على أعلامه البارزين، الذين أسهموا في تطويره، وعلى رأسهم المؤرخ ناصر الدين سعيدوني.
- ✓ الاهتمام بالمناهج التاريخية الحديثة، والسعي لفهم كيفية توظيفها في قراءة التاريخ الوطني.

- ✓ الرغبة الحقيقية في الاقتراب من تجربة مؤرخ جزائري أكاديمي جمع بين التنظير المنهجي والتطبيق البحثي، وهو ما يجعل مسيرة الأستاذ سعيدوني نموذجا خصبا للدراسة، كما أن الاهتمام بمسألة المنهجية التاريخية وكيفية بناء النص التاريخي يمثل دافعا ذاتيا حقيقيا لكل باحث يسعى إلى تجاوز مرحلة القراءة السطحية للتاريخ نحو فهم أعمق لآليات إنتاجه ونقده.

ب_**الأسباب الموضوعية:**

- ✓ مكانة المؤرخ ناصر الدين سعيدوني العلمية البارزة في الحقل التاريخي الجزائري، لاسيما ريادته في مجال الدراسات العثمانية.
- ✓ اهتمامه المتميز بمسألة المنهجية التاريخية وإشكالية النص التاريخي في الفكر العربي مما يجعله شخصية جديرة بالدراسة والتحليل.
- ✓ شح الدراسات الأكاديمية المتخصصة حول مسيرته وفكره مما يجعل هذا البحث إضافة ولو بسيطة للدراسات حوله.

2_ **أهمية الدراسة:**

**تكمن أهمية هذه الدراسة فيما يلي:**

أ_تقديم إضافة ولو بسيطة حول شخصية علمية بارزة في مجال التاريخ الوطني، وهو ناصر الدين سعيدوني، الذي أسهم بشكل واضح في تجديد الكتابة التاريخية في الجزائر، فهي تمكّن من التعرف على منهجه في معالجة القضايا التاريخية.

ب_ المساهمة في إبراز قيمة الدراسات المتخصصة في التاريخ الوطني، وتأكيد ضرورة الاهتمام بأعلامه الذين أسهموا في بنائه، مما يعزز الوعي التاريخي ويشجع على إعادة قراءة الماضي بمنهجية علمية رصينة.

## 3_الإشكالية المطروحة:

تتمحور الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة حول التساؤل الآتي:

إلى أي مدى أسهم ناصر الدين سعيدوني في إعادة قراءة التاريخ الوطني الجزائري وفق مقاربات منهجية حديثة؟

وتتفرّع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية:

ـكيف تشكلت شخصية ناصر الدين سعيدوني العلمية عبر مراحل نشأته وتكوينه؟ وما أبرز المهام والإسهامات التي ميزت مسيرته؟

- كيف نظر سعيدوني إلى التاريخ وأهدافه؟ وما موقفه من إشكالية النص التاريخي في الفكر العربي؟

- ما المواصفات التي حدّدها سعيدوني للنص التاريخي، وما أصنافه، وبمَ دعا لتجديد الكتابة التاريخية؟

- ما خطوات منهجه في البحث التاريخي، وما موقفه من واقع الكتابة التاريخية وتدريس التاريخ في الجامعة الجزائرية؟

- كيف تناول سعيدوني القضايا التاريخية كالوجود العثماني والمسألة البربرية والثورة الجزائرية؟

**4-منهج الدراسة:**

يعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي بوصفه الأنسب لدراسة موضوع ناصر الدين سعيدوني وقضايا التاريخ الوطني، حيث يقوم على جمع المادة العلمية من مصادرها المختلفة، ثم نقدها وتحليلها وربطها بسياقها التاريخي من أجل الوصول إلى نتائج دقيقة.

**5_الخطة المعتمدة في الدراسة:**

جاء هذا البحث مقسّما إلى مقدمة وثلاثة فصول، يتناول الفصل الأول السيرة الذاتية والعلمية لناصر الدين سعيدوني بدءا من نشأته وتكوينه الفكري وصولا إلى مسيرته الأكاديمية وإنتاجه البحثي، أما الفصل الثاني فيتطرق لدراسة منهجه في الكتابة التاريخية من خلال ثلاثة محاور: مفهوم التاريخ وأهدافه وموقفه من إشكالية النص التاريخي، ثم مواصفات النص التاريخي وأصنافه ودعوته لتجديد الكتابة التاريخية، ثم خطوات منهجه البحثي وموقفه من الكتابة التاريخية وتدريس التاريخ في الجامعة الجزائرية، في حين يتوقف الفصل الثالث عند مواقفه من القضايا التاريخية الكبرى، كالوجود العثماني في الجزائر، والمسألة البربرية، والثورة الجزائرية، وينتهي بخاتمة تضمنت أهم النتائج، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع، والملاحق، والفهرس.

**6_أهم المصادر والمراجع:**

اعتمدت في إنجاز هذه المذكرة على مصادر أولية تتمثّل في مؤلفات ناصر الدين سعيدوني نفسه، وفي مقدمتها كتابه (أساسيات منهجية التاريخ) الذي يُعدّ المرجع الأساسي لفهم رؤيته المنهجية وتصوره للكتابة التاريخية الرصينة، وقد أفدنا منه بشكل واسع في الفصل الثاني، كما اعتمدنا على كتابه (الجزائر منطلقات وآفاق: مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية) الذي كشف لنا عن طريقة تعامله مع القضايا التاريخية الوطنية، أما كتابه (في الهوية والانتماء الحضاري) فقد أعاننا على فهم رؤيته للمسائل المرتبطة بالتاريخ

الوطني، وإلى جانب هذه المصادر الأولية، أفدنا من الكتاب الجماعي (المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر) الذي وفّر لنا شهادات متنوعة حول مسيرته وإسهاماته العلمية، إلى جانب عدد من المقالات العلمية التي قدّمت قراءات تحليلية متنوعة في جوانب من فكره ومنهجه.

**7_صعوبات الدراسة:**

اعترضتني أثناء الفترة المخصصة لإنجاز المذكرة مجموعة من الصعوبات تمثلت في:

أ_ ندرة الدراسات المتخصصة التي تناولت هذه الشخصية بشكل مستقل ومنهجي، إذ غالبا ما ترد أعماله ضمن إشارات عامة دون تحليل معمّق لمساره الفكري ومنهجه التاريخي،

ب- كما يُشكّل تشتت إنتاجه العلمي بين لغات مختلفة، خاصة العربية والفرنسية، عائقًا يتطلب من الباحث الإلمام بهما معا لفهم أعماله ومواقفه حو بعض القضايا التاريخية بصورة دقيقة وشاملة.

ج_ طبيعة كتاباته التي تتسم بالتحليل العميق وتداخل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية مع التاريخية، مما يفرض على الباحث امتلاك خلفية معرفية متعددة التخصصات، إضافة إلى ذلك فإن فهم تأثره بالمدارس التاريخية الأوروبية، يتطلب إلماما بهذه المناهج ومقارنتها بتطبيقاته في التاريخ الوطني، كما أن الربط بين أعماله وسياقها التاريخي العام يقتضي جهدا تحليليا دقيقا لتفكيك أفكاره واستنتاج إسهاماته الحقيقية في تطوير الكتابة التاريخية.

ومما لا شك فيه أن طموحنا في هذه الدراسة يبقى مجهودا أوليا متواضعا لا يخلو من النقائص، ولا يشكل إلا مساهمة متواضعة، وبداية عمل يحتاج إلى مجهودات وحيزا زمنيا أطول.

# الفصل الاول:

# السيرة الذاتية والعلمية لناصر الدين سعيدوني

## الفصل الأول: السيرة الذاتية والعلمية لناصر الدين سعيدوني.

### أولا: حياة ناصر الدين سعيدوني ومسيرته العلمية

1-نشأته الأولى وطفولته.

2-مرحلة الجامعة والبحث العلمي

3-المهام والمسؤوليات العلمية

### ثانيا:الإنتاج الفكري والعلمي لناصر الدين سعيدوني

- 1حركيته في إنتاج المعرفة

.2المؤلفات والإصدارات الفكرية

## أولا : حياة ناصر الدين سعيدوني ومسيرته العلمية:

يُعدّ ناصر الدين سعيدوني من أبرز المؤرخين والباحثين الجزائريين الذين ساهموا في خدمة التاريخ الوطني وإثراء الدراسات التاريخية بأبحاث ومؤلفات قيّمة، فقد تميز بمسيرة علمية حافلة بالعطاء والجد والاجتهاد، حيث اهتم بدراسة تاريخ الجزائر والمغرب العربي اعتمادا على المنهج العلمي الدقيق والمصادر الموثوقة، كما شغل عدة مهام ومسؤوليات علمية مكّنته من الإسهام في تطوير البحث الأكاديمي والمحافظة على الذاكرة الوطنية، ومن هذا المنطلق، سنتناول في هذا الفصل حياة ناصر الدين سعيدوني ومسيرته العلمية، بدءًا من نشأته الأولى وطفولته، وصولًا إلى أبرز المهام والمسؤوليات التي تقلدها في مساره العلمي.

### 1- نشأته الأولى وطفولته:

ولد ناصر الدين ابن الميلود سعيدوني من أسرة ريفية في الشرق الجزائري تنتمي إلى العائلة الكبيرة (البوازيد) ولد في العاشر من جويلية عام 1940م في فترة الحرب العالمية الثانية، وفي زمن التحرك ضد أطماع الدول الإمبريالية الاستعمارية. وسمّي بـ (ناصر الدين) تيمّنا بهزيمة الفرنسيين على يد النازيين وبداية عهد جديد في الجزائر في تلك السنة.[1]

قضى السنوات السبع الأولى من حياته في وسط ريفي بمنزل عائلته في (بئر الشهداء) بأم البواقي، حيث لُقّبَ هذا المكان بـ (سيدي مصطفى) جدّ ناصر الدين.[2]

[1] سهيلة أحمد سرير، إسهامات المؤرخ ناصر الدين سعيدون في كتابة تاريخ الجزائر الاقتصادي خلال العهد العثماني، مجلة العلوم مج 5، ع3 (عدد13) جوان 2020، ص 390.

[2] مؤسسة وسام العالم الجزائري، المؤرخ والمحقق ناصر الدين سعيدون العابد في محراب تاريخ الجزائر، السيرة الذاتية والعلمية،2021، ص 4.

المؤرخ ناصر الدين ابن منطقة (بئر الشهداء)[1] طبّق عليها الضابط الفرنسي (ديزون) سياسة الإبادة الجماعية خلال الثورة التحريريّة، والتي كانت تعتبر منطقة انتقال إلى المناطق الأولى، والثانية والثالثة، فكان يلقي بالشهداء في آبار المعمرين، وبذلك أخذت القرية اسم "بئر الشهداء" بعدما كانت تسمى (قرية استعمارية).[2]

وناصر الدين هو الذّكر الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من بين إخوته، وعاش مع أخواته الأربع وهو الأصغر في الترتيب، هو ابن دوار (زاوية بن مرزوق)، وتعود أصولُ أسرته إلى كتلة (بلّزمة) الجبلية بالجناح الغربي لجبال الأوراس.[3]

بدأ مرحلته الدراسية الأولى مع أختيه في مدرسة التهذيب بمدينة (التلاغمة) لمدة ثلاث سنوات والتي انتقل إليها والده (الشيخ الميلود) خريج جامع الزيتونة ليكون إماما في مسجدها ومديرا لمدرستها التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

عند بلوغه العاشرة رحل مع أسرته إلى حاضرة الشرق الجزائري (قسنطينة) ودرس المرحلة الابتدائية هناك قبل أن ينتسب إلى معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس والكلية

[1] بئر الشهداء: بلدية بئر الشهداء هي منطقة تاريخية تابعة لولاية أم البواقي في الجزائر، اشتهرت كمعلم رمزي لجرائم الاستعمار الفرنسي، حيث ألقي فيها بـ 447 شهيداً، بينهم نساء وأطفال، في بئر خلال الثورة التحريرية .تقع غرب الولاية، وتعتبر ذاكرة حية لتضحيات المنطقة.

[2] وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المركز الثقافي الإسلامي، ناصر الدين سعيدوني الباحث في التاريخ العربي الإسلامي والمحقق في التاريخ الجزائري، قصر الثقافة، الجزائر، 2015، ص 11.

[3] سعيدوني معاوية،" الدكتور سعيدوني كما عرفته – ملامح شخصيته، ونظرته إلى الحياة "، مجلة القلم، ع1، دار البصائر الجديدة، 2016م، ص 45.

الكتانية، ومن معلميه الشيخ الصادق حمّاني[1]، والشيخ عبد الرحمن شيبان[2]، ومحمد الميلي[3]، والشيخ النُّعَيْمي، الشيخ العدوي، الشيخ حفناوي، والشيخ بن دياب، ومن التلاميذ الذين درسوا معه في المرحلة الابتدائية الأديبة زهور ونيسي، أما في معهد ابن باديس فقد زامل سي على أمقران، السي الحفناوي، الشيخ محند الطيب مترجم القرآن، وغيرهم.

وفي هذا الصدد يقول البروفيسور ناصر الدين:" **كلٌّ من درس في معهد ابن باديس يكتسب روحا داخلية تحركه للنجاح والاستقامة في السلوك.. وأنا أفتخر بانتسابي لهذا المعهد ودراستي على يد الشيوخ الأفاضل**"[4].

---

[1] الشيخ الصادق حماني: ولد في شهر جوان سنة1916 ، يعتبر من أبرز رواد الإصلاح والتربية في الجزائر خلال القرن العشرين، تخرّج من الجامع الأخضر بقسنطينة وجامع الزيتونة بتونس، وساهم في نشر التعليم الحر وتكوين الأجيال تحت راية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تولى إدارة عدة مدارس كبرى، أهمها مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، حيث لعب دورا وطنيا وتربويا بارزا، كما دعّم الثورة التحريرية بتكوين المناضلين وخدمة الحركة الوطنية، بعد الاستقلال واصل خدمة قطاع التعليم كمفتش ومربٍّ، وترك أثرا كبيرا في تطوير المدرسة الجزائرية إلى غاية وفاته سنة 1983م.

[2] عبد الرحمن شيبان: ولد في 23 فيفري 1918م في قرية الشرفة دائرة مشدالة ولاية البويرة، الجزائر .رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من سنة 1999 إلى سنة 2011 .توفي صبيحة يوم الجمعة 12 أوت سنة 2011 عن عمر يناهز 93 سنة.

[3] محمد الميلي: (1929–2016م) مفكر ومؤرخ ودبلوماسي جزائري، شارك في الثورة التحريرية وأسهم في الحياة السياسية والثقافية بعد الاستقلال، تولى مناصب بارزة منها مستشار الرئيس هواري بومدين، وسفير الجزائر في اليونان، ووزير التربية الوطنية، كما شغل منصب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

ترك عددا من المؤلفات والمقالات في التاريخ والفكر والسياسة، وعُرف بدفاعه عن الهوية الوطنية والقضايا العربية والإسلامية.

[4] مؤسسة وسام العالم الجزائري، المؤرخ والمحقق ناصر الدين سعيدون العابد في محراب تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 4.

توجه مع عائلته عام 1958م إلى عنابة فاستقر فيها لمدة سنة كاملة، لكنه واصل دراسة مقررات المستوى الثانوي ليحضّر للباكالوريا.

قال البروفيسور في إحدى جلساته عن المعاناة وضيق الحياة: " **الحياة كلها معاناة ونضال مستمر واستمرارية في الجهد، وبعدها يأتي الجزاء، وحياتي نموذج لذلك**"[1].

**2-مرحلة الجامعة والبحث العلمي:**

في سن الثانية والعشرين توجه ناصر الدين إلى العاصمة، وكانت لحظات الاستقلال، فانخرط في الدراسة الجامعية وحصل على شهادته الجامعية الأولى "شهادة الكفاءة في التعليم للتاريخ والجغرافيا" (كابس) (CAPES) -وكان ترتيبه الأول في الدفعة-من معهد الدراسات العربية في تخصص التاريخ؛ في جوان 1966م، بعدها التحق بسلك التعليم كأستاذ في ثانوية الإدريسي.

تشكلت علاقة ناصر الدين بحقل التاريخ منذ صغره من خلال القصص التي كانت ترويها له والدته بالرغم من أنها خيالية وليجد نفسه ضمن سياق حركية التاريخ باندلاع الثورة التحريرية، وبالدراسة في معهد ابن باديس تعمق في المجال أكثر إلى جانب الجغرافيا، ومن الكتب التي أثّرت فيه كتب أحمد توفيق المدني مثل: "جغرافيا الجزائر"، "كتاب الجزائر" وكذلك كتاب الشيخ عبد الرحمان الجيلالي، وغيرها.[2]

حصل على شهادتي ليسانس من كلية الآداب بجامعة الجزائر؛ الأولى في التاريخ عام 1969م، والثانية في الجغرافيا سنة 1971م، التحق لفترة بالمدرسة العليا للأساتذة بالقبة لدراسة الآداب واللغة العربية وعدة تخصصات أخرى، ليتحصل بعد 6 سنوات

[1] مؤسسة وسام العالم، المرجع السابق، ص 5.

[2] بوغفالة ودان، المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، الرشاد للطباعة والنشر، 2014، ص 17.

على شهادة دكتوراه الحلقة الثالثة من جامعة الجزائر في تخصص التاريخ الحديث والمعاصر سنة 1974م بعنوان "النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830م" بدرجة امتياز تحت إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله، ثم حاول التسجيل في القاهرة مع الأستاذ أحمد عزة عبد الكريم -رحمه الله- لكن الظروف آنذاك كانت صعبة مما أدى به للتوجه إلى فرنسا عام 1976م.[1]

رحلة البحث في مرحلة الدكتوراه كانت تحديّا بالنسبة له بين شدّ وجذب مع الظروف المحيطة به، وقد دوّن على حائط مكتبه: "ما بقاؤك هنا والفتيان قد ساروا؟". وبعد أن كان قد كتب فصلين في فرنسا تحمّس وواصل كتابة الفصول المتبقية لمدة تسعة أشهر ليحرر ألفا ومائتي صفحة، ولكن عند وصوله إلى الخاتمة فقَدَ شغفه للمواصلة ووجد صعوبة في الكتابة وتنسيق الكلمات والأفكار.

وفي يوم المناقشة سأله أحد أعضاء اللجنة ماذا حصل لك في الخاتمة؟ فقال له البروفيسور سعيدوني "صدقني أو ولا تصدق، لقد فقدتُ تلك الشحنة عندما وصلت إلى نهاية العمل"، كتب حوالي ستة وعشرين فصلا بروح مندفعة وقضى سنة 1987م لا ينام خلال أيامها إلا ساعتين من الزمن.[2]

وتحصل في ماي سنة 1988م على دكتوراه دولة في فرنسا من جامعة "إكس آن بروفنس" aix-en-provence بعنوان " الحياة الريفية في الجزائر 1792- 1830م" تحت إشراف البروفيسور "برلان لويس" بعد 13 سنة من العمل الدؤوب الذي يعبّر عنه الدكتور ناصر الدين أنه كان ينقش على الحجارة بأصابعه؛ وفي هذا الفترة أتقن اللغة الفرنسية، واللغة العثمانية في معهد الدراسات الشرقية، كما أتقن الإنجليزية لاحقا ويقول

[1] بوغفالة ودان ، المرجع السابق، ص 18.

[2] مؤسسة وسام العالم الجزائري، مرجع سابق، ص 5.

**" اللغات ناقلة للعلم؛ العربية في أصالتها، الإنجليزية في عالميتها، والفرنسية في كلاسيكيتها، والعثمانية في تاريخها"[1].**

**3- المهام والمسؤوليات العلمية:**

شغل عدة مناصب في الجامعة ويعتبرها البروفيسور سعيدوني علمية حيث يقول: "الحمد لله، حسب مواصفاتي الشخصية فأنا غير مؤهل للإدارة وغير قابل لأن أطبق القوانين بدون روح إنسانية "[2]، وفي هذا يحدّث أن منزله كان دائما مفتوحا للطلبة، ومن بينهم الطالبتين غطاس وزهرة زكية رحمهما الله.

في سنة 1997م شغل منصب رئيس قسم التاريخ لمدة سنتين ثم قُدمت له منحة دراسية في باريس، وعاد بعدها إلى الجزائر ليشغل منصب مدير كلية التاريخ لمدة أربع سنوات في جامعة خروبة.

عمل الدكتور ناصر الدين أستاذا متفرغا في جامعة آل البيت بالأردن سنوات 1996 و1998، وهي فترة وجود الدكتور أبو القاسم سعد الله فيها.

كما شغل منصب أستاذ جامعي محاضر في قسم التاريخ في أول جامعة في المشرق العربي بالكويت لمدة 10 سنوات بينما استقر بالكويت حوالي 12 سنة.

بعد رجوعه من المشرق إلى الجزائر؛ وإلى قسم التاريخ بكلية العلوم الإنسانية في جامعة الجزائر، عمل أستاذا في التاريخ الحديث والمعاصر لسنتين، ثم شغل منصب رئيس المجلس العلمي للكلية لمدة ثلاثة سنوات، وكانت آخرَ وظيفة له في المجال الأكاديمي، ليصبح باحثا حرّا يعيش لأفكاره ويمارس تجربته عن اقتناع. وحسب رأيه الشخصي أن

[1] سعيدوني ، مرجع سابق، ص 47.

[2] بوهند خالد، النخب الجزائرية: 18921942، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2020، ص 31.

"من لم يمارس الإدارة لن يعرفها، ومن يبقى متشبثا بالإدارة يخسر نفسه ويخسر الآخرين، ... الإدارة سجن من لم يدخلها ليس برجل، ومن عاد إليها ليس برجل".[1]

- قدم استقالته عن التدريس في الجامعة، ولكن بعد رجوعه من الحج طلب منه رئيس المجلس العلمي ورئيس القسم اللذين كانا من طلابه الرجوع إلى التدريس فلم يرفض لكن قدّم شرطين:[2]
  - أن يكون التدريس مجانيا.
  - أن يختار الطلبة التوقيت المناسب لهم والمقياس الذي يريدون الاستزادة فيه.

أنشأ زاوية بها مكتبة وهو الآن يحاول بناء مسجد حيث قال "لا بركة بدون مسجد...لأني عشت الحياة وكل شيء تافه بدون الأصالة والدين".[3]

**ثانيا: الإنتاج الفكري والعلمي لناصر الدين سعيدوني:**

يُعدّ الإنتاج الفكري والعلمي من أهم المعايير التي تُبرز مكانة الباحث والمؤرخ في الساحة العلمية، وناصر الدين سعيدوني يُعتبر من الشخصيات التي تركت أثرًا واضحًا في مجال الدراسات التاريخية والفكرية. فقد ساهم من خلال نشاطه العلمي المتواصل في إثراء المعرفة التاريخية، خاصة ما يتعلق بتاريخ الجزائر والمغرب العربي، وذلك عبر بحوثه ودراساته المتنوعة التي اتسمت بالدقة والموضوعية. كما تميز بغزارة إنتاجه الفكري وتنوع مؤلفاته التي أصبحت مراجع يعتمد عليها الباحثون والطلبة، ومن هذا المنطلق سنتناول في هذا المبحث حركيته في إنتاج المعرفة، ثم نتطرق إلى أبرز مؤلفاته وإصداراته الفكرية التي تعكس جهوده العلمية ومكانته الأكاديمية.

---

[1] مؤسسة وسام العالم الجزائري، مرجع سابق، ص 6.

[2] سعيدوني معاوية، مرجع سابق، ص 48.

[3] بوغفالة ودان، المرجع السابق، ص 20.

**1- حركيته في إنتاج المعرفة:**

شارك في تحرير دائرة المعارف الإسلامية في بعض المواد منها: حياة الأمير محمد عبد القادر، وبلاد القبائل، وشارك كذلك في دائرة المعارف في تونس بحوالي ثلاثين ترجمة، وحاول إثبات الموسوعة في مشروع علمي شاركه مع الأستاذ بوعمران الشيخ وزهير إحدادن وغيرهم.

قضى ست سنوات باحثا مدققا بأرشيف الجزائر، وحينها دوّن عشرة كتب في العصر العثماني، واهتمّ بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، حتى أصبح أحد المراجع فيها.

ثم بدأ يميل في مساره البحثي مع باحثين آخرين إلى موضوع دراسة الأوقاف؛ فارتبط بمركز البحث الوطني الفرنسي وحقق مشروعين أساسين، ليعقد إثر ذلك مؤتمرا في الجزائر وآخر في "إكس أن برفنس" حول الأوقاف، ثم انتقل إلى تونس وإلى اليابان لمواصلة دراساته في هذا السياق.[1]

أشرف وتابع صدور مجلة الدراسات التاريخية لمعهد التاريخ ثلاثة عشر سنة متواصلة ما بين 1986 و1999، وهو ما يعتبر إنجازا في سياقنا الحضاري من حيث التنظيم ومن حيث الثبات في إنتاج المعرفة، وترأس أيضا هيئة تحرير مجلة إنسانيات لكلية العلوم الإنسانية بجامعة الجزائر في أعدادها الثلاثة الأولى ما بين 2001 و2002.

"أنا بعد أربعين سنة في البحث لا يمكنني القيام بالبحث في نَفَس واحد، فأعيده وأكرره، وغالبا ما يتطلب الأمر مني كتابته ثلاث مرات على الأقل ومراجعته مرة أخيرة ثم إخضاعه لرأي الآخرين.... وهذا ما يسمى بالتدقيق العلمي"[2].

---

[1] بوغفالة ودان، مرجع سابق، ص 21.

[2] حنان تواق وآسيا رافع، الدراسات العثمانية في الكتابات المغاربية من خلال كتابات ناصر الدين سعيدوني وعبد الجليل التميمي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2020–2021، ص 11.

يعدّ الدكتور سعيدوني من الأعلام البارزين الذين أسهموا في إثراء الدراسات التاريخية، خاصة في مجال الأوقاف، حيث شغل عضوية الأمانة العامة لمؤسسة الوقف العالمية بالكويت، وشارك في تقييم العديد من الأعمال العلمية، مما مكّنه من إصدار مجموعة من المؤلفات المهمة في هذا المجال، ومن أبرز أعماله كتاب "دليل الدراسات الوقفية في الجزائر "الذي صدر باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية، إلى جانب تأليفه كتابًا حول الأوقاف باللغة الفرنسية في الكويت، كما قام بترجمة أعماله الفرنسية إلى العربية في مؤلف بعنوان "دراسات في الوقف"، وقد نشر كذلك عددًا من البحوث الأكاديمية في فرنسا تناولت قضايا الوقف، وأدرج أسماء بعض الأوقاف ضمن كتابه "الملكية والجباية[1]."

وقد شكّل مشاركته في مؤتمر بلاد الشام محطة مهمة في مسيرته العلمية، حيث قدّم بحثًا استغرق إعداده تسعة أشهر من العمل المتواصل، وكان لذلك أثر كبير في تعزيز مكانته في الأوساط العلمية. ومنذ ذلك الحين، توسعت اهتماماته من الدراسات العثمانية إلى قضايا الوقف والملكية والجباية، وتوّج هذا المسار بإصدار كتابه "الملكية والجباية "باللغتين العربية والفرنسية. كما اتجه لاحقًا إلى دراسة العالم العربي والخليج، فأصدر كتابه "التاريخ المشرق"، قبل أن ينتقل إلى الاهتمام بالتاريخ الأوروبي، حيث نشر كتاب "المسائل في التاريخ الأوروبي"، وألّف عملين حول المدارس التاريخية الأوروبية، أحدهما قيد النشر في الدوحة والآخر لا يزال قيد التحضير، إلى جانب إسهامه في مجلة متخصصة بدراسة مدرسة الحوليات[2].

وفي جانب آخر من حياته، كتب الشيخ محمد صالح جزءًا من سيرته، وهو ما عبّر عنه سعيدوني بقوله إن ذلك كان دليلًا على محبته له. كما اهتم بتدوين رحلاته

[1] بوضرساية بوعزة: رواد المدرسة التاريخية، د.ط ، دار المحكمة، الجزائر، 2007م، ص 18.

[2] عويمر مولود، ذكرياتي عن أستاذي الدكتور ناصر الدين سعيدوني الجزائري، مجلة البصائر، الجزائر، 2017م، ص 23.

إلى عدد من البلدان مثل ماليزيا والصين واليابان وإيران وشمال إفريقيا، وقد نشر بعض هذه الرحلات، من بينها رحلته إلى البوسنة واسبانيا سنة 1965م، مما يعكس تنوع اهتماماته العلمية والثقافية.

ألف كتابا عن سعد الله حيث ضمّنَه الرسائل المتبادلة بينهما عندما كان سعيدوني في الشرق وفي الجزائر وسعد الله في أمريكا.

عاشر الدكتورَ أبو القاسم سعد الله ست سنوات في جامعة الجزائر، عندما كان على رأس المجلس العلمي، وكان يقول للدكتور سعيدوني (نكتة) عند إنهاء الاجتماعات الإدارية: "يا سي ناصر الدين، عليك أن تدفع لي حقوق هذه الساعات التي قضيتها معك في معالجة الأمور الإدارية وكان الأصل أن أقضيها في البحث"[1].

**2- المؤلفات والإصدارات الفكرية:**

انصبّ اهتمام البروفيسور ناصر الدين سعيدوني في بدايات مسيرته العلمية على دراسة الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، حيث عمل على تحليل البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لتلك المرحلة، معتمدًا على مصادر أرشيفية ووثائق أصلية مكّنته من تقديم قراءة علمية دقيقة ومغايرة لبعض الطروحات التقليدية. وقد ساهم هذا التخصص المبكر في ترسيخ مكانته كأحد أبرز الباحثين في التاريخ العثماني الجزائري، حتى أصبح مرجعًا لا غنى عنه للدارسين في هذا المجال.

ومع نضج تجربته البحثية، لم يقتصر اهتمامه على هذا الحقل، بل توسّع ليشمل الدراسات الوقفية، حيث انكبّ على تحليل نظام الوقف بوصفه مؤسسة اقتصادية واجتماعية ذات تأثير عميق في المجتمعات الإسلامية. وقد تميزت أعماله في هذا المجال بالجمع بين المنهج التاريخي والتحليل المؤسسي، ما جعله من رواد الدراسات

[1] بوعزيز يحي، اعلام وثقافة في الجزائر المغربية، دار المغرب الاسلامي، ط1، 1995م، ص 66.

الوقفية في العالم العربي، خاصة في ما يتعلق بالوقف في الجزائر ودوره في التنمية والاستقرار الاجتماعي.

كما اتجه سعيدوني إلى دراسة التراث الجغرافي والتاريخي في بلاد المغرب، بالإضافة إلى أدب الرحلات، حيث أولى أهمية خاصة للمصادر الرحلية باعتبارها وثائق تاريخية تعكس صورة دقيقة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية. وقد ساهم هذا التوجه في إثراء الدراسات المغاربية وربطها بسياقها الحضاري الأوسع.

وفي إطار نشاطه العلمي والمؤسسي، كان الدكتور سعيدوني عضوًا في لجنة الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، وهو ما يعكس الاعتراف الدولي بكفاءته وخبرته في هذا المجال. كما أسهم في الإنتاج العلمي من خلال نشر عدد معتبر من المؤلفات، من بينها حوالي خمسة كتب حول الأوقاف بالتعاون مع ابنه معاوية، مثل كتاب *الوقف في الجزائر*، إضافة إلى مساهماته في مجال العلمي الجماعي[1].

يُعدّ البروفيسور ناصر الدين سعيدوني من الباحثين المتميّزين بغزارة إنتاجهم العلمي واستمرارية عطائهم الفكري، إذ يُوصف بأنه صاحب "قلم سيّال" يعكس ديناميكية فكرية وقدرة عالية على البحث والتأليف. فقد بلغ عدد منشوراته العلمية حوالي خمسة وثلاثين مؤلفًا، وهو رقم دالّ على مسيرة علمية ثرية ومتواصلة، خاصة إذا ما أُخذ بعين الاعتبار تنوّع موضوعاتها وعمق معالجتها. ولا تقتصر هذه الحصيلة على ما نُشر فقط، بل تشمل أيضًا عددًا من الأعمال التي لا تزال في طور الطباعة، إضافة إلى مشاريع بحثية قيد الإنجاز، ما يدل على حيوية فكرية لم تخفت مع مرور الزمن.[2]

**أ-بعض مؤلفاته:**

- "الكتابة التاريخية من الجهد الفردي إلى المنظور الحضاري".
- "الأطلس التاريخي للجزائر".

[1] بوغفالة ودان،مرجع سابق، ص 20.

[2] عويمر مولود، مرجع سابق، ص 24.

- "التاريخ المالي للجزائر 1792 –1830م".
- "دراسات في الملكية العقارية في العهد العثماني".
- "أساسيات منهج التاريخ".
- "معجم مشاهير المغاربة" بالاشتراك.
- "كتاب العصر التاريخي للجزائر".
- "كتاب المعاصرة ".
- "كتاب الهوية، الثقافة والمخطط" يحتوي على 700 صفحة.
- " تطور الدراسات التاريخية".
- "كتاب الخليج بعيون فرنسا" المكون من 3 كتب:"علاقات الدول في الخليج"، "مذكرات القنصل الفرنسي (فلدان)" و"تقرير مفصل عن عمان".ترجم العديد من الكتب من بينها ستة كتب مع ابنه معاوية.
- "في الحراك الثقافي والتفاعل الفكري" كتب فيه عن علماء ارتبطوا بالجزائر انتماء لها وحبا فيها: من بينهم أبو العيد دودو، أبو القاسم سعد الله، عائشة غطاس، عبد الرحمن شيبان، محفوظ قداش، روبير مُونْتِرَان، محمد قنانش، إسماعيل العربي، وغيرهم.[1]
- نشر كتاب " المغرب العربي في الرؤية المشرقية لبلاد المغرب" حيث جمع معلوماته ومحتواه من أبحاث الأستاذ عبد الجليل التميمي من الكويت.
- نشر كتاب لعبد المالك التميمي وكتب له مقدمة.
- حلل في كتابه الذي يضم 300 صفحة أربعة شخصيات: "مالك بن نبي، سعد الله، الكاتب ياسين ومصطفى لشرف".
- كتب أيضا معاناته الخاصة التي عاشها في عام 1957م حينما نجا من الموت؛ فدونها تحت عنوان "المعاناة الخاصة" ويتمنى أن ينشر في الجزائر.

[1] بوغفالة ودان، مرجع سابق، ص 25.

- كتب مقالا عن الشاعر خلدوني.
- فسر تاريخ الجزائر في ثلاثة أقسام: "الملك العَضوض"، "عصر الترف والرفاهية" و"عصر القرابة وانحلال العصبية وظهور عصبية مثلها".
- يعمل على القواميس من سنة 200 هجري إلى 400 هجري مع عز الدين بوشيخ.
- وممّا نشره باللغة الفرنسية: "الجزائري (العاصمي) الريفي في نهاية العهد العثماني 1791-1830م" حيث يقول "**حررتُ 1200 صفحة باللغة الفرنسية، ولمدة تسعة أشهر لم أكن أنام إلا لساعتين من الزمن**".[1]

**ب- في ميدان التحقيق:**

- "القول الأوسط في أخبار بعض من حلَّ بالمغرب الأوسط للحاج أحمد الشقراني" تحقيق وتقديم.
- "زهور البساتين في تاريخ السوادين، للحاج موسى أحمد كمره" تحقيق بالاشتراك مع معاوية سعيدوني.
- "دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله"، جمع وإخراج ناصر الدين سعيدوني، نشر دار الغرب الإسلامي عام 2000.[2]

**3- المحاضرات داخل الوطن وخارجه:**

- محاضرة في جامعة صوفيا في طوكيو.
- محاضرة في بيروت باللغة الإنجليزية.
- العديد من المحاضرات حول الشيخ سعد الله.

[1] حنان تواق وآسيا رافع، مرجع سابق، ص 12.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

- محاضرة حول ابن خلدون بدعوة من مدير المنتدى العربي الدولي أحمدي، وهي عبارة عن قراءة لكتابه.
- قام بمحاضرات عديدة في إيران بجامعة الزهراء في طهران.
- حضر الكثير من المحاضرات في جامعات قطر..

**4-تكريمات واستحقاقات:**

لا يعرف قدر الرجال إلا الرجال فكل من عرف البروفيسور ناصر الدين سعيدوني أثنى عليه علما وخلقا، ومن التكريمات التي نظّمت له:[1]

- نظم مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية بجامعة معسكر ملتقى علميا حول شخصيته، وألقيت فيه محاضرات، وأدليت شهادات، سنة 2014 م بعنوان "ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر".
- حصل على وسام بدرجة "عشير" من مصف الاستحقاق الوطني من طرف رئيس الجمهورية سنة 2017م.
- كُرم في جامعة غرداية بإشراف من الدكتور إبراهيم بحاز.
- تُكريم من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في الجزائر.
- تكريم في مؤسسة الشروق عام 2017م.

بدأت مؤسسة ناصر الدين سعيدوني عندما كان مديرا لمعهد التاريخ وأنشأ مجلة "الدراسات التاريخية".[2]

وأشرف على إحدى عشرة مجلة؛ منها ما أصدرها في الجزائر وأخرى أشرف عليها عندما كان في لندن. بعدها حاول أن ينظم مجموعة بحث حينما كان رئيس المجلس العلمي لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، فأصدر مجلة الإنسانيات والتي تطورت بعد

---

[1] بوغفالة ودان، مرجع سابق، ص 27.

[2] أحمد سير سهلة، ، *إسهامات المؤرخ ناصر الدين سعيدوني في كتابة تاريخ الجزائر الاقتصادي خلال العهد العثماني*، مجلة تاريخ العلوم، المجلد 5، العدد 3، 15 أوت 2020، ص 450.

ذلك، وشارك في بحوث منها مجلة "تاريخ المغرب الغربي" مع محفوظ قداش، روبير وغيرهم. وهذا ما جعله ينشئ مع ابنه معاوية سعيدوني "مؤسسة ناصر الدين سعيدوني" في كندا حيث أنه المسؤول عليها حاليا، وتعمل على:[1]

✓ **الوصول بالثقافة إلى المستوى الأكاديمي.**

ثانيا: جعل المؤسسة في خدمة المجتمع الجزائري وبخاصة فيما يتعلق بالذاكرة التاريخية للجزائر.

وتنقسم مشاريع المؤسسة إلى ثلاثة:

- أولا:"دائرة المعارف الجزائرية" انطلاقا من المدونة والذاكرة وانتهاء بدائرة المعارف الجزائرية الخاصة بالعلوم الإنسانية والتي ينوي البدء فيها بأمل استمرار الأجيال في إصدارها لتكتمل، وستصدر باللغات الثلاث: العربية، الإنجليزية فالفرنسية، وهي بدورها تنقسم الى ثلاثة أقسام:[2]
- القسم الأول يتحدث عن الشخصيات والمشاهير والأعلام وفيها حوالي 100 ترجمة، وتضمّ 500 شخصية.
- القسم الثاني حول الفونوغرافيا وتحتوي على أكثر من 600 موقع ومكان، لكن يعمل على إبراز أقل من 200 فونوغرافية، ويضم أيضا اللوحات التي يصل عددها إلى 5000 لوحة وهي عبارة عن خرائط، رسوم، صور وبيانات.
- القسم الثالث والأخير يتمثل في الموضوعات المتنوعة، مثل الزلازل، الأمراض والأوقاف...
- ثانيا: مجلة محكّمة بعنوان "مقاربات" ترصد الثقافة والفكر وما يؤثر على صورة الإسلام في الغرب، تصدر باللغات الثلاث.

---

[1] بوغفالة رشاد، ندوة رائد الدراسات ناصر الدين سعيدوني، الوثائق *العثمانية في الجزائر*، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2014م، ص 39.

[2] بوغفالة رشاد، مرجع سابق، ص 40.

- ثالثا: الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، باعتبارها جسرا لاستيعاب الأبحاث العلمية الأجنبية في مجال التاريخ، قصد إثراء المكتبة الجزائرية.

يُعدّ مشروع موسوعة "**الذاكرة الجزائرية** "من أبرز الإنجازات العلمية في مسيرة البروفيسور ناصر الدين سعيدوني، حيث استغرق إنجازها ما يقارب خمسة وثلاثين سنة من البحث المتواصل والعمل الدؤوب، بالتعاون مع ابنه معاوية سعيدوني. ويعكس هذا الامتداد الزمني الطويل حجم الجهد المبذول، سواء من حيث جمع المادة العلمية أو تدقيقها وتحليلها، بما يضمن تقديم عمل موسوعي يتمتع بالدقة والشمول[1].

وتتناول هذه الموسوعة مختلف الأماكن والمواقع والمدن والأقاليم الجزائرية، إذ تضم حوالي 600 موقع، ما يجعلها مرجعًا جغرافيًا تاريخيًا بالغ الأهمية. ولا تقتصر قيمة هذا العمل على الجانب الوصفي، بل تتعداه إلى توثيق الذاكرة المكانية للجزائر، من خلال ربط المعطيات الجغرافية بالأبعاد التاريخية والثقافية والحضارية لكل موقع. وبذلك، تسهم الموسوعة في حفظ التراث الوطني وتعزيز الوعي بالهوية التاريخية.

كما يُبرز هذا المشروع البعد الموسوعي في فكر سعيدوني إذ يتجلى فيه حرصه على الإحاطة الشاملة بالموضوع، واعتماده منهجًا يجمع بين التوثيق والتحليل، مع الاستناد إلى مصادر متنوعة تشمل الوثائق التاريخية، والرحلات، والمراجع الجغرافية، ويُعدّ إشراك ابنه في هذا العمل دلالة على استمرارية المشروع العلمي عبر الأجيال، ونقل الخبرة البحثية ضمن إطار علمي عائلي.

[1] حنان تواق وآسيا رافع، مرجع سابق، ص 14.

# الفصل الثاني:

# الكتابة التاريخية عند المؤرخ ناصر الدين سعيدوني

**أولا: مفهوم التاريخ وأهدافه عند سعيدوني:**

1. **نظرته إلى التاريخ:**
2. **موقفه من إشكالية النص التاريخي في الفكر العربي**

**ثانيا: مواصفات النص التاريخي بين المواصفات وأصنافه:**

1- **مواصفات النص التاريخي وعوامل بنائه**
2- **أصنافه**
3- **دعوته لكتابة نص تاريخي جديد**

**ثالثا: منهجه في البحث التاريخي وموقفه من الكتابة التاريخية الجزائرية:**

1- **خطوات منهج الكتابة التاريخية**
2- **موقفه من الكتابة التاريخية في الجزائر وتدريس التاريخ بالجامعة.**

## أولا:مفهوم التاريخ وأهدافه عند المؤرخ ناصر الدين سعيدوني:

### 1- نظرته إلى التاريخ وأهدافه:

يربط سعيدوني التاريخ بالتجربة الإنسانية في أشمل صورها، فهو يعتبر أن فهم التاريخ يمر حتما عبر فهم الحضارة التي بناها الإنسان عبر الزمن، فالتاريخ في نظره هو تلك الدراسة التي تتتبع مسيرة الإنسان وعلاقته ببيئته والتحولات التي أحدثتها تلك العلاقة سواء في اتجاهها الإيجابي أو السلبي[1] وعلى هذا الأساس يغدو التاريخ الأداة التي يستعين بها العقل الإنساني على استجلاء ماضيه، سواء في جانبه المادي الملموس أو في شبكة العلاقات الاجتماعية التي نسجها البشر فيما بينهم، ويذهب سعيدوني إلى أن الأحداث التاريخية ليست مجرد وقائع منفصلة، بل هي في حقيقتها حوار متواصل بين الأزمنة، حوار بين ما مضى وما هو قائم، وبين الأجيال المتعاقبة، وبين الإنسان والزمن الذي يعيش فيه، وحتى بين من يكتب التاريخ ومن يقرأه ويتفاعل معه، وانطلاقا من هذه الرؤية يكتسب النص التاريخي ثقلا كبيرا، إذ يسهم في بناء شخصية الفرد وتشكيل الوعي الجماعي للمجتمع والتاريخ في نظره "يظل مادة هادفة إن لم نقل معرفة نوعية تحمل قيما ومفاهيم إيديولوجية"[2]

وفي إطار رؤيته هذه، يحدد سعيدوني ثلاثة أهداف يراها جوهرية في دراسة التاريخ

[1] ناصر الدين سعيدوني، **إشكالية دلالة النص التاريخي**، مجلة اللغة العربية، ع 22، 2009، الجزائر، ص 199.

أ-**الهدف الثقافي والمعرفي:** ويقصد به سعيدوني أن دراسة التاريخ تمكن الإنسان من استيعاب تجارب الأمم والشعوب والتعرف على جذورها الضاربة في القدم، فالتاريخ من هذه الزاوية يشتغل كذاكرة جماعية للشعوب، وحين تتراجع هذه الذاكرة أو تغيب تنشأ أزمات هوية حقيقية تمس الفرد قبل الجماعة، وتنعكس سلبا على التماسك الاجتماعي والثقافي وحتى على طريقة التفكير السياسي. ب-

**الهدف التربوي والأخلاقي:** يرى سعيدوني أن للتاريخ دورا تربويا حقيقيا يتجلى في تعزيز الانتماء الوطني وتنمية حس المسؤولية لدى الأفراد وشحذ اهتمامهم بما يجري في مجتمعاتهم، وذلك من خلال ما يعرضه التاريخ من نماذج إنسانية ومواقف وما يقدمه من دروس مستخلصة من تجارب الأمم، وهو ما ينعكس مباشرة على تشكّل شخصية الفرد وترسّخ الهوية الجماعية.

ج-**الهدف المنهجي والعلمي:** إذ يقوم هذا البعد على مقاربة الماضي بأدوات التحليل العلمي والتأمل الفلسفي في الأحداث والظواهر، وهذا ما يجعل من التاريخ مدرسة حقيقية لتنمية ملكة التحليل والقدرة على الاستنتاج[1]

فضلا عن إمكانية استشراف ما هو قادم استنادا إلى ما أفرزه الماضي من معطيات، وبهذا المعنى يصبح التاريخ في يد المثقف الواعي أداة فعّالة لفهم واقعه والإسهام في تطوير مجتمعه.

وحين تتكامل هذه الأهداف الثلاثة مجتمعة تتشكّل ما يصفها سعيدوني بـ(الثقافة التاريخية)، وهي ثقافة تقوم على معرفة الأصول وفهم الامتدادات، ولا يتسنى تحقيقها في رأيه إلا بالإلمام بالقضايا الكبرى في تاريخ الإنسانية ومحطاتها الفارقة وتياراتها الفكرية والحضارية الكبرى، سواء تعلق الأمر بأحداث وقعت فعلا أو بأفكار ومفاهيم أثّرت في مسار البشرية

[1] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص 438.

2 **موقفه من إشكالية النص التاريخي في الفكر العربي:** يرى سعيدوني أن مسألة فهم النص التاريخي وتأويله تمثّل قضية ملحّة ينبغي أن يلتفت إليها القارئ العربي بجدية، وذلك لأن قيمة هذا النص تنبع أصلا من قيمة القضايا التي يعالجها والمسائل التي يتناولها، ومن هنا يرى أن الغموض الذي يكتنف التوجهات الثقافية المعاصرة وصعوبة تحليل طريقة تفكير الإنسان العربي يعودان جزئيا إلى هذا القصور في التعاطي مع النص التاريخي[1]، فالعقل العربي في نظره يميل إلى التعلق بالماضي والسكون إليه بدل الانخراط في متطلبات الراهن والتفاعل مع تحولاته، ويرى سعيدوني أن الأزمة التي يعيشها الفكر العربي اليوم، والتي تتجلى في الاضطراب في المواقف والتشتت في القناعات وغياب الرؤية الواضحة، ترجع في جانب كبير منها إلى ضعف التعامل مع المعطيات الثقافية وإشكاليات البيئة ومتغيرات العصر، وهو ضعف يرتبط ارتباطا وثيقا بطريقة قراءة النص التاريخي وفهمه.

وسعيا للنفاذ إلى عمق النص التاريخي واستجلاء ما يحمله من معان ودلالات، يطرح سعيدوني تساؤلين اثنين يراهما مدخلا ضروريا لهذا الفهم: يتناول الأول مواصفات النص التاريخي من حيث بنيته ومحتواه، بينما يتعرض الثاني لأنواع الخطاب التاريخي وتصنيفاته، وذلك كله تمهيدا للبحث في الشروط التي تُمكّن من تجديد هذا النص وتطوير أساليب عرضه، بما يجعله أكثر قدرة على الاستجابة لحاجات القارئ العربي وتطلعاته، مستندا في ذلك إلى القيم والأفكار التي يختزنها الموروث التاريخي الجماعي[2]

[1] ناصر الدين سعيدوني، إشكالية دلالة النص التاريخي، مرجع سابق، ص 200

[2] نفسه، ص 201.

## ثانيا: مواصفات النص التاريخي وأصنافه:

### 1- مواصفات النص التاريخي وعوامل بنائه:

يرى سعيدوني أن صياغة النص التاريخي تتحكم فيها ثلاثة عوامل رئيسية متداخلة هي طبيعة الموضوع ومؤهلات الباحث وشروط المنهج التاريخي:

**أ- إشكالية موضوع النص التاريخي:** يفرض النص التاريخي حضوره على القارئ من خلال طبيعة الموضوع الذي يتناوله ونوعية المعلومات التي يقدمها، وتتوقف قيمته على مدى التزامه بقواعد المنهج التاريخي واحترامه لضوابطه، فالنص التاريخي يصبح إسهاما حقيقيا وإضافة تستحق الاهتمام، تمكّن صاحبها من إثبات حضوره في الحقل المعرفي وتفيد القارئ وتغني تجربته[1]، متى توافرت فيه جملة من الشروط والمواصفات الضرورية، فينبغي أن ينبثق الموضوع من دافع بحثي حقيقي وشغف أصيل بالمعرفة، بعيدا عن الميول العابرة والحوافز الظرفية، مع تخصيص ما يكفي من الوقت والجهد لإنجازه على الوجه المطلوب، كما يتعين على النص أن يرتكز على مصادر أولية كافية يمكن الوصول إليها والاستفادة منها، ويشترط سعيدوني أيضا أن يسعى النص إلى تحقيق هدف واضح، سواء تمثّل ذلك في إضافة معلومة جديدة أو إزالة الغموض عن قضية ملتبسة أو تصحيح مفهوم خاطئ شاع بين الناس أو سد ثغرة في البحث أو المساهمة برأي مستقل أو مناقشة ما هو متداول من أطروحات، ويستلزم ذلك أيضا أن يتجنب النص التكرار والتداخل مع ما سبق معالجته من طرف باحثين آخرين، فضلا عن ذلك ينبغي الابتعاد عن الأحداث الراهنة التي لم تتضح معالمها بعد ولم تستقر نتائجها، كما يُنصح بتجنب المفاهيم المجردة والعلاقات المتشعبة التي تفتقر إلى العمق التاريخي الكافي.

[1] ناصر الدين سعيدوني ، اشكالية دلالة النص التاريخي ، ص202

غير أن النص التاريخي الذي يستوفي هذه الشروط في اختيار موضوعه لا يصبح قابلا للبحث فعليا إلا حين تتحدد إشكاليته التي تضبط مساره وترسم خطته، والإشكالية في جوهرها تقوم على التساؤل وتستهدف التحليل، وهما الركيزتان اللتان يقوم عليهما بناء النص التاريخي، إذ بغيرهما يتراجع النص إلى مجرد سرد متتابع للأحداث وفق تسلسلها الزمني أو وصف روائي لا يتجاوز الظاهر، فاعتماد الإشكالية هو الذي يمنح النص طابعه العلمي، كونها تمثّل الإطار الملائم للكشف عن الجوانب المراد دراستها وتمثّل المنطلق السليم لتطبيق منهج البحث القائم على التحري والنقد، وتتشكّل الإشكالية عبر صياغة تساؤلات يسعى النص إلى الإجابة عنها، وهي تساؤلات تنطلق من فرضية تأخذ بعين الاعتبار أبعاد الموضوع وخصائصه ومصادره والغرض من دراسته، وهذا ما يستوجب من صاحب النص قراءة واسعة حول موضوعه والإلمام بجوانبه المختلفة، ذلك أن الارتقاء بمستوى الإشكالية مرهون بالمثابرة على البحث وتطوير القدرة على طرح الأسئلة الحقيقية[1].

ب. **مؤهلات صاحب النص التاريخي**

تنبع قيمة النص التاريخي في جانب كبير منها من كفاءة صاحبه وقدرته على توظيف أدوات البحث التاريخي توظيفا سليما، ولذلك تكتسب مؤهلات الباحث ومواهبه أهمية بالغة في هذا السياق، فبعيدا عن الرغبة في البحث والتفرغ له وتخصيص الجهد اللازم والقدرة على الوصول إلى المصادر وجمع المعلومات، ثمة ملكات أعمق ينبغي توافرها في الباحث الجاد، أبرزها الحس النقدي[2] والتحليلي، وامتلاك القدرة على البرهنة والاستدلال، واستقلالية الرأي وعدم الانجرار وراء ما يروّجه الآخرون باعتباره حقيقة مسلّما بها، هذه المواصفات هي التي تضفي على النص طابع الجدية والإقناع والتأثير، وتجعله مرآة حقيقية تعكس شخصية صاحبه وطريقة تفكيره.

[1] ناصر الدين سعيدوني ، اشكاية دلالة النص التاريخي ، ص ص 203-204

[2] ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة، الجزائر، 2000، ص 92.

ويقف الباحث في طريق كتابة النص التاريخي أمام تحديين رئيسيين، أولهما يتصل بالأداة اللغوية التي يعبر من خلالها عن أفكاره، والثاني يرتبط بطريقة تعاطيه مع أحداث الماضي وقدرته على تأويلها وتحليلها[1]، فعلى صعيد اللغة والأسلوب، يتعين على الباحث أن يكون متمكنا من أدواته اللغوية وقادرا على التعبير بوضوح ودقة، مع الحرص على إيجاد توازن دقيق بين الأسلوب الأدبي الذي قد ينزلق نحو المبالغة والاستطراد، والأسلوب العلمي الجاف الذي يثقل النص بالمصطلحات التقنية، والنص التاريخي الجيد هو الذي يجمع بين دقة المعنى وسلامة البناء وسلاسة العبارة دون إخلال بمتطلبات الصرامة العلمية

أما على صعيد الموقف من الأحداث، فإن الباحث يواجه جملة من الإغراءات والمزالق، في مقدمتها ما قد يقع فيه من أوهام تتعلق بتصوّره لذاته وطموحاته وميوله الشخصية، وهي كلها عوامل قد تنعكس على حياديته وتؤثر في نظرته إلى الأحداث، يُضاف إلى ذلك أن المؤرخ يتعامل مع وقائع انتهت ومضى زمانها، ويتعين عليه إعادة توزيع الأدوار على أصحابها وفق رؤيته الخاصة ومنطق تفسيره للأحداث، وهو ما يجعل الأمانة العلمية والحياد والموضوعية قضايا أخلاقية حقيقية لا مجرد شعارات، وينبغي عليه أن يتصف بالأمانة والشجاعة والصدق والإخلاص،[2] فالباحث هو الذي يحدد ما يُثبته وما يستبعده، وما يعدّه موثوقا أو مشكوكا فيه، وهو الذي يصوغ الاستنتاجات ويسوق البراهين ويسجل المواقف، ولهذا يرى سعيدوني أن على الباحث الاطلاع الواسع على العلوم الإنسانية والاجتماعية ذات الصلة بموضوعه، لأنها تمدّه بالمادة وتنبّهه إلى جوانب قد تفوته وتساعده على تحديد إشكاليته والوصول إلى نتائج أكثر رسوخا.

[1] ناصر الدين سعيدوني، إشكالية دلالة النص التاريخي، مرجع سابق، ص 206.

[2] ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، مرجع سابق، ص 91.

ومن هنا يخلص سعيدوني إلى أن صاحب النص التاريخي الجيد ينبغي أن يجمع بين الخيال الخلّاق والثقافة الواسعة والفهم العميق للسلوك البشري والنظرة المتزنة للظروف المحيطة بالأحداث، وعليه أن يلتزم بمبادئ الصدق والأمانة والنزاهة والحياد، وأن يرفض كل أشكال التزوير والانتهازية والانصياع لضغوط السلطة ومصالح الجهات وإملاءات الرأي العام[1]، كما يستلزم منه ذلك التمسك بحرية الفكر والجرأة على تجاوز الأفكار السائدة، ورفض كل ما يلجأ إلى الأسطورة أو الخرافة أو التفسيرات المسبقة في مقاربة الأحداث.

## ج. متطلبات بناء النص التاريخي

يرتكز بناء النص التاريخي على تطبيق قواعد المنهج التاريخي الذي تبلورت معالمه على امتداد القرنين الماضيين في ضوء التطور الذي شهده حقل الدراسات التاريخية، ويمر هذا المنهج بمراحل متتابعة تبدأ بطرح الإشكالية ووضع الخطة الأولية وتنتهي بالصياغة النهائية للنص، مرورا بمراحل جمع المادة التاريخية وتمحيصها وتحليلها، ويستند هذا المنهج في جوهره إلى ثلاث عمليات متكاملة تسير تباعا: تتمثل الأولى في جمع المادة التاريخية الخام التي تمثّل العمود الفقري لأي نص تاريخي، إذ بدونها تنتفي الأسس الموضوعية التي يقوم عليها البحث، وتتمثل الثانية في النقد والتمحيص، وهي عملية تتناول النص التاريخي من جوانب متعددة تشمل نسبته إلى مصدره وصحة مضمونه وملابسات كتابته والسياق الذي أُنتج فيه، أما العملية الثالثة فتتعلق بصياغة المادة المجموعة والمنقودة في نص تاريخي متسق ومنظم.[2]

[1] ناصر الدين سعيدوني، إشكالية دلالة النص التاريخي، مرجع سابق، ص 208.

[2] نفسه، ص 210.

وتستلزم هذه العمليات مجتمعة من الباحث جهدا مضاعفا وتركيزا دقيقا حتى يتمكن من استخلاص نتائج مقنعة والتغلب على الصعوبات المتعلقة بتحليل المعلومات وتنظيم الأفكار وصياغة العبارات، فتحليل المادة التاريخية شرط أساسي لترتيبها وتحويلها إلى بحث متماسك، وتركيب الأفكار ضرورة لا مناص منها لتسجيل الحقائق وإصدار الأحكام المستندة إليها، وأعظم ما يعترض المؤرخ في هذا المسار هو شُح المصادر وتقطّع المادة التاريخية أو انعدامها كليا في بعض المراحل، مما يجبره على محاولة سد الفجوات ومدّ الجسور بين ما هو معروف وما يجهله، عبر المقارنة بين الماضي والحاضر وربط الأحداث المتعاقبة ببعضها، وفي هذه الحالات يغدو المؤرخ أشبه بفنان يحاول استكمال لوحة ناقصة من خلال القرائن والمعطيات المتاحة، ولا يتسنى له ذلك إلا باستخدام أسلوب القياس التاريخي الذي يمكّنه من بناء تصورات معقولة للمسارات التي تشحّ في شأنها الوثائق[1]، والاستعانة بالخيال العلمي المنضبط لملء ما أغفلته المصادر، وعلى هذا الأساس يتحول التاريخ في نظر الباحث إلى ماض حي متجدد يساعده على فهم سلوك الآخرين واستيعاب دوافعهم والتعامل مع شهاداتهم بتبصّر وإنصاف.

## 2.- أصناف النص التاريخي:

يذهب سعيدوني إلى أن النص التاريخي، بالنظر إلى موضوعه ومؤهلات صاحبه والمنهج المتبع في إنتاجه، يمثّل في جوهره عملا علميا وإنتاجا فكريا يحمل رؤية صاحبه ويعكس توجهه، ويستجيب في الوقت ذاته لما يطلبه الفضاء الثقافي وما يحتاجه القراء على اختلاف مستوياتهم وتنوع اهتماماتهم، وهذا التنوع في الجمهور والأغراض هو الذي أفضى إلى تعدد أصناف النص التاريخي وتباين توجهاته، وتتحدد هذه الأصناف بحسب المنهج الذي يعتمده الكاتب والهدف الذي يسعى إلى بلوغه، وهي ثلاثة أنواع رئيسية:.

### أ. النص الوصفي الاستعراضي:

[1] ناصر الدين سعيدوني، إشكالية دلالة النص التاريخي، مرجع سابق، ص 210.

يمثّل هذا النوع امتدادا لأعرق أساليب الكتابة التاريخية في التراث العربي الإسلامي، إذ يسير على خطى المحدثين والإخباريين في تسجيل الأحداث وروايتها بمعزل عن أدوات المنهج التاريخي الحديث، فيعرض الأحداث كأنها وقائع ثابتة مجردة عن سياقها الزماني والمكاني، مما يجعله خطابا قصصيا روائيا أقرب إلى التوثيق الجامد منه إلى البحث الحي، يكتفي باستحضار الماضي دون أن يتجاوز ذلك إلى مساءلة الأحداث أو البحث عن أسبابها ودلالاتها، ومع ذلك يحتل هذا النص مكانة واسعة في المشهد الثقافي العربي اليوم لأنه يلبي ذوق شريحة كبيرة من القراء[1]، غير أن سعيدوني يرى أن رواجه ليس بريئا، بل هو تعبير عن سيادة ثقافة المحافظة والجمود ومظهر من مظاهر الانغلاق الفكري وضعف الوعي التاريخي الذي لا يزال يطبع الذهنية العربية المشدودة إلى الماضي المتشبثة بأمجاده.

ب. **النص التاريخي الإيحائي الموجه:**

يوظّف هذا الصنف التاريخَ أداةً للتوجيه والإقناع والتأثير سواء في السلوك الفردي أو القيم الاجتماعية أو الصراعات السياسية والإيديولوجية، فهو يستدعي الماضي ليخدم الحاضر ويمهّد للمستقبل الذي يريده صاحبه انطلاقا من قناعات ذاتية وأهداف مسبقة الرسم، ولهذا يأتي محمّلا بالعواطف طافحا بالذاتية لا يتحرج من ادعاء امتلاك الحقيقة الكاملة وإقصاء الرأي الآخر، وقد عرف هذا الصنف انتشارا واسعا في الساحة العربية منذ منتصف القرن العشرين وحتى ثمانينياته، غير أنه بدأ يفقد مسوّغاته تدريجيا مع تراكم الانتكاسات التي عرفتها المجتمعات العربية، بعد أن أدرك القارئ العربي أن توظيف التاريخ لخدمة أغراض سياسية وإيديولوجية لا ينتج سوى الوهم.

[1] ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ،، ص 214

**ج. النص التاريخي التحليلي المحايد:**

يقوم هذا الصنف على مساءلة الأحداث واستقراء الوقائع وتحليل العوامل والنتائج، انطلاقا من نظرة متأملة وبحث معمّق يأخذ بعين الاعتبار تفاعل الإنسان مع محيطه وظروفه، فيحرص على فهم الظروف التي عاشها الأشخاص وتفاعلوا معها بدل تمجيدهم أو الحط منهم دون سند ودليل، وهو النموذج الذي يطمح سعيدوني إلى أن يشكّل الصورة الغالبة في الكتابة التاريخية العربية، إلا أن ما يتطلبه من جهد مضاعف ووقت طويل وشروط صارمة جعله حكرا على الأوساط الأكاديمية ومراكز البحث، ومع ذلك يبقى سعيدوني متفائلا إذ يرى أن التحوّل نحو هذا النص ليس مجرد خيار أسلوبي، بل هو مؤشر حقيقي على تجاوز العقل العربي لمرحلة اجترار الماضي[1] نحو مقاربة نقدية ناضجة تعتمد التشكيك المنهجي في استخلاص النتائج واستنباط الدلالات.

**3 .دعوة سعيدوني إلى نص تاريخي جديد:**

يرى سعيدوني أن القارئ العربي في المرحلة الراهنة يحتاج فعلا إلى نص تاريخي يختلف جوهريا عن الأنماط السائدة، سواء في صيغتها التقريرية الوصفية أو في شكلها السياسي الإيديولوجي أو في طابعها التربوي الأخلاقي أو حتى في شكلها العلمي المجرد ولهذا يدعو سعيدوني إلى بناء نص تاريخي جديد يصدر عن ثقافة موضوعية ومراجعة واعية للذات، ويتجاوز العرض القصصي الذي يحبس الذاكرة في الماضي، والتأطير السياسي الذي يشدّ القارئ نحو القناعات الإيديولوجية الجاهزة، فضلا عن الأسلوب العلمي المتخصص الجاف الذي يُقصي القارئ العادي ويُحوّل البحث التاريخي إلى عمل مغلق على نفسه.

[1] ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق، ص218

وتحقيق ذلك في نظر سعيدوني يستلزم بناء نص يتعامل مع الأحداث بنقد موضوعي، ويقارب الظواهر التاريخية بتحليل معمّق، ويستنطق الوثائق والمعلومات لاستخلاص دلالاتها الحقيقية، فالنص التاريخي في المحصلة إبداع معرفي يرتبط بصاحبه وينعكس فيه عصره ومجتمعه، والنص المأمول الذي يستجيب لمتطلبات الثقافة العربية الإسلامية اليوم ويلتقي معه قراء من مختلف المشارب، هو ذلك النص الذي ينبثق من تحرر فكري أساسه الوعي الذاتي الحقيقي، في تصور الماضي أو تقييمه أو الحكم عليه [1] ومن جهد علمي غايته تحليل المادة التاريخية واستخلاص نتائجها، ولهذا يشترط سعيدوني في هذا النص جملة من المواصفات الجوهرية، أبرزها الأصالة في الطرح والإبداع في المعالجة وفق قواعد المنهج التاريخي مع التوفيق بين الملاحظة والتجربة، والوضوح في الأداء والقدرة على تحديد الدلالات وعرض الأفكار بأسلوب يُقنع ويُبلّغ، والمنطقية في الاستدلال وتحليل الأحداث وفق مقتضيات المنهج التاريخي قبل عرض نتائجها مع التزام البرهنة الصادقة، والسعي الدؤوب نحو الحقيقة والحياد والنزاهة ضمن الشروط التي يرسمها المنهج العلمي.

وحين يستوفي النص التاريخي هذه المواصفات يصبح الخطاب التاريخي العربي مرآة حقيقية للإنسان العربي، معبّرا عن همومه وخصوصيته الحضارية ونظرته إلى العالم، ويتصالح الفرد مع ذاكرته الجماعية ويتحوّل الموروث التاريخي من عبء يُثقل الذاكرة إلى طاقة تُحرّك العقول وتُنشّط التفكير، وعند ذلك لن نقف عند الشطر الأول من تعريف ابن خلدون للتاريخ الذي يختزله في رواية أخبار الأمم، بل نأخذ بتمامه الذي طالما أهملناه، فيغدو التاريخ نظرا وتحقيقا وتحليلا عميقا لأسباب الوقائع ونتائجها

[1] ناصر الدين سعيدوني، نحو مقاربة جديدة لتاريخ العرب الحديث، مناقشة مفاهيم وعرض تصورات، مجلة أفكار وآفاق، ع1، 2011، ص 64.

## ثالثا: منهجه في البحث التاريخي وموقفه من الكتابة التاريخية الجزائرية:

### 1 .خطوات منهج الكتابة التاريخية:

يُعدّ سعيدوني من أبرز المؤرخين الجزائريين الذين أولوا منهجية البحث التاريخي عناية استثنائية، سواء من خلال إنتاجه العلمي أو من خلال مسيرته الجامعية الطويلة، وقد تجلّت هذه العناية بصورة واضحة في كتابه (أساسيات منهجية التاريخ) الصادر عام 2000، ويعرّف سعيدوني المنهجية التاريخية بأنها الأداة العملية التي تُكسب دارس التاريخ المهارة اللازمة للتعامل مع الحدث التاريخي، وتجعله يجمع في سعيه لاستعادة صورة الماضي بين الحس الأدبي والنظرة الموضوعية والتناول العلمي الرصين، وبهذا التعريف يضع سعيدوني المنهجية في مرتبة الأساس الذي لا غنى عنه في أي عمل تاريخي جاد.

وتمر منهجيته بجملة من الخطوات المتكاملة يمكن استعراضها على النحو التالي:

#### أ. شروط الباحث وضوابط اختيار الموضوع:

يرى سعيدوني أن ارتباط الباحث بموضوعه ينبغي أن ينبع من رغبة حقيقية وشغف ذاتي أصيل، بعيدا عن الدوافع الخارجية أو الظرفية العابرة، ويشترط أن يكون الباحث متمكنا من لغة مصادره، وأن يتجنب الموضوعات المستهلكة التي طُرقت كثيرا، وأن يختار موضوعا يجمع بين الجدة والجذب والجدية في آن واحد، كما ينبّه إلى ضرورة ضبط حدود الموضوع زمانا ومكانا ونوعا، مقترحا للقيام بذلك طرح أربعة أسئلة جوهرية هي: أين؟ ومن؟ ومتى؟ وكيف؟[1]

إذ تمثل هذه الأسئلة الخريطة الأولى التي ترسم ملامح البحث، وفوق ذلك يشترط سعيدوني في الباحث التاريخي جملة من الصفات الشخصية في مقدمتها الصبر والأمانة العلمية والتزام الموضوعية والمنطق في عرض الأحداث، مع التحلي بالزهد في الشهرة والترفع عن الاستثمار في جهود الآخرين، وعدم إخفاء الوقائع والحقائق التي قد لا يعرفها غيره.[2]

ب. **وضع الخطة:**

يؤكد سعيدوني أن الخطة البحثية تبدأ من العنوان وتكون في مرحلتها الأولى مرنة قابلة للتطوير والتعديل، وتتضمن هذه الخطة مقدمة تُحدد الإطار الزماني والمكاني وتصوغ الإشكالية وتوضح المنهج المتبع، ومتنا يتوزع على الفصول مع تمهيد لكل فصل ومعالجة لإشكالياته الفرعية، وخاتمة تستخلص النتائج وتفتح أسئلة جديدة حول ما لم تتوصل إليه الدراسة بصورة نهائية.[3]

ج. **جمع المادة التاريخية:**

يضع سعيدوني ترتيبا منطقيا للرجوع إلى المصادر، يبدأ بالمراجع العامة كالموسوعات وكتب التراجم، ثم ينتقل إلى الآثار المادية بوصفها شواهد حية ومباشرة على النشاط البشري، ثم إلى الآثار المكتوبة من أرشيفات ومخطوطات التي يعتبرها أرقى درجات المصادر وأثمنها، وأخيراً يأتي دور الرواية الشفوية التي يرى لها أهمية بالغة لا يمكن إغفالها في دراسة الأحداث القريبة التي لا يزال أصحابها أحياء، كما هو الحال مع تاريخ الثورة الجزائرية.

[1] صليحة علامة، ضوابط منهجية الكتابة التاريخية، المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، 2014، ص168

[2] ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، مرجع سابق، ص 91.

[3] صليحة علامة، مرجع سابق، ص 169

**د. نقد المادة التاريخية**

يمثّل النقد التاريخي ركيزة أساسية في منهج سعيدوني، وهو يقوم على مبدأ الشك المنهجي الذي يدفع الباحث إلى التمحيص والتحقق قبل القبول بأي وثيقة أو رواية، وينقسم هذا النقد عنده إلى نقد خارجي الذي يستهدف التثبت من صحة الوثيقة ومعرفة مصدرها، ويشمل نقد التصحيح الذي يفحص الألفاظ من الجانب اللغوي والجغرافي والتاريخي، ونقد المصدر الذي يعنى بتحديد عصر الكاتب وبيئته وما يتصل بالخط والورق والتوقيع، والنقد الباطني الذي ينصبّ على مضمون الوثيقة من حيث لغتها وموقعها التاريخي وملابسات كتابتها وشخصية صاحبها من حيث نزاهته ودقته وانتماءاته ومواقفه.[1]

**هـ. صياغة الأحداث التاريخية وكتابتها:**

وهي المرحلة الختامية في منهج سعيدوني، وتنطوي على ثلاث عمليات متكاملة: التحليل التاريخي الذي يُعيد ترتيب أقسام البحث ترتيبا منطقيا ومتوازنا مستندا إلى الموضوعية والعقلانية والإقناع، والتركيب التاريخي الذي يجمع الحقائق المتفرقة ويصنّفها ويُرتّبها ويملأ الفراغات بالاستنتاج المنطقي المبرهن، والإنشاء التاريخي الذي يعني كتابة البحث بلغة سليمة وأسلوب واضح يوفّق بين دقة المعنى وسلامة البناء، بعيدا عن التكرار والغموض والمبالغة.

**2 .موقفه من الكتابة التاريخية في الجزائر وتدريس التاريخ بالجامعة:**

يواجه سعيدوني واقع الكتابة التاريخية وتدريس التاريخ في الجزائر منذ الاستقلال بنظرة نقدية صريحة، وهو موقف يكشف عن ارتباطه الوثيق بقضايا بلده وحرصه على النهوض بالبحث التاريخي الوطني، فقد رصد أن الكتابة الفرنسية ظلت طويلا مهيمنة على تاريخ الجزائر[2]،

[1] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 171.

[2] صليحة علامة، مرجع سابق، ص 165

منطلقة من تصورات استعمارية تقوم على التفوق العرقي وتُشرعن مشروع الاحتلال، دون أي التزام بالموضوعية العلمية،[1] وقد كان هذا الواقع في نظره أحد أبرز الدوافع التي حرّكت كتابات تاريخية جزائرية تسعى إلى بناء مدرسة وطنية قادرة على استعادة التاريخ من براثن التزوير والتشويه. غير أن ظهور هذه المدرسة الوطنية ظل قاصرا عن الوفاء بما كان يُنتظر منها، إذ استمر تدريس التاريخ في الجامعة الجزائرية يعاني من إشكاليات جوهرية على أكثر من صعيد، سواء على مستوى المحتوى المعرفي أو الجودة العلمية أو الأساليب المنهجية، وذلك على الرغم من التزايد الملحوظ في أعداد الأساتذة والطلبة المتخصصين، ويرصد سعيدوني جملة من المظاهر التي كرّست هذا القصور وعمّقته، في مقدمتها تهميش المؤرخ الجزائري وتراجع دوره لصالح السياسيين المحترفين والإيديولوجيين الذين استحوذوا على المشهد التاريخي الرسمي في حين أُقصي أصحاب الاختصاص الحقيقيون[2]، وبعد تعريب التعليم أصبح الباحث التاريخي في عزلة عن المستجدات المعرفية العالمية مما أسهم في تكريس تكرار الموضوعات نفسها، كما تحوّل أستاذ التاريخ في الجامعة إلى مُلقّن للمعلومات عوضا عن أن يكون باحثا ومحللا، وتحوّل الطالب بدوره إلى حافظ للمعطيات بدل أن يكون دارسا ناقدا، حين آثر جلّهم التعليم على البحث والتجميع على التحليل، يُضاف إلى ذلك غياب الإطار العلمي الموجّه لإعداد الرسائل الجامعية مما نجم عنه تمركز مبالغ فيه حول موضوعات مستهلكة دون مساهمة حقيقية في بناء المعرفة التاريخية الوطنية.

[1] ناصر الدين سعيدوني، التاريخ وأهميته في بناء الوطن، مجلة الباحث، ع 2، 1984، ص15.

[2] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مرجع سابق، ص 442

وأمام هذا الواقع قدّم سعيدوني جملة من المقترحات العملية، أبرزها إعادة الاعتبار للمؤرخ الجزائري المتخصص وإتاحة المجال لأساتذة التاريخ للمبادرة في الأطر العلمية والبيداغوجية، وإعادة النظر في المناهج الجامعية وتطويرها وربطها بالمراحل التعليمية الأخرى، وقد تجلّت هذه الروح التجديدية في أسلوبه التربوي الخاص مع طلبته، إذ كان يفتح بيته لهم في أجواء أسرية مريحة بعيدة عن الرسميات الجامعية[1]، ويحرص على تكوينهم عبر الملتقيات والنقاشات الحرة وتدريبهم على مبادئ البحث المستقل، ساعيا دائما إلى اقتراح موضوعات جديدة غير مطروقة حتى يُجنّبهم الوقوع في فخ إعادة ما سبق دراسته.

[1] صليحة علامة، مرجع سابق، ص 166

# الفصل الثالث: موقف المؤرخ ناصر الدين سعيدوني من بعض المواقف التاريخية

## أولا: موقفه من الوجود العثماني في الجزائر

## ثانيا: موقفه من المسألة البربرية

## ثالثا: موقفه من الثورة التحريرية

**تمهيد:**

يعد المؤرخ ناصر الدين سعيدوني واحدا من المؤرخين الذين واجهوا مختلف القضايا التاريخية متمسكا بالمصادر الأصلية ومسلحا بمنهجه النقدي وهو ما يجعل مواقفه من هذه القضايا مقياسا حقيقيا لمستوى وعيه النقدي واستقلاليته الفكرية عن التأثيرات الإيديولوجية والسياسية المحيطة

**أولا: موقفه من الوجود العثماني في الجزائر:**

تُعدّ قضية الدولة العثمانية في الجزائر من أبرز القضايا التاريخية التي أولاها سعيدوني اهتماما بالغا، إذ تناولها بنظرة تحليلية نقدية تسعى إلى تجاوز الأحكام الجاهزة والقراءات الإيديولوجية المتحيزة، والوقوف على الحقيقة التاريخية من خلال العودة إلى المصادر الأصلية ودراسة البنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي ميّزت تلك المرحلة، وتتمحور معالجته لهذه القضية حول ثلاثة محاور رئيسية: مظاهر الحكم في الجزائر العثمانية، واختلاف وجهات النظر حول طبيعة الكيان الجزائري، وموقفه النقدي من الكتابات الفرنسية التي تناولت هذه الفترة.

**1- مظاهر الحكم في الجزائر العثمانية:**

**أ- المؤسسة العسكرية:**

يرى سعيدوني أن المؤسسة العسكرية شكّلت العمود الفقري الذي قام عليه الحكم العثماني بالجزائر طوال الفترة الممتدة بين عامَي 1518 و1830، وكانت تتركز بمدينة الجزائر وتتألف أساسا من العناصر التركية القادمة من الأناضول التي لم يتجاوز عددها خمسة عشر ألف فرد، وعلى الرغم من قلة عددها واتساع البلاد وصعوبة تضاريسها، استطاعت هذه الحامية أن تحافظ على الأمن والهدوء وتُكرّس هيبتها بفضل الانضباط والتكاتف والإخلاص الذي اشتُهر به أفرادها، وهو ما أتاح لها إحكام سيطرتها على جهاز الحكم وجعل منها مصدر السلطة وقوامها[1].

[1] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مرجع سابق، ص 171

وقد تبلوّر أداء هذه المؤسسة العسكرية في ظهور نظام تعود فيه الكلمة العليا للديوان والتصرف الفعلي للباي لارباي ثم الباشا ثم الآغا ثم الداي حسب فترات الحكم، ومع مطلع القرن الثامن عشر نجح الدايات في اكتساب صلاحيات واسعة جعلتهم في نظر كثير من المراقبين الأوروبيين حكاما مطلقين، وهو ما تم نعته بالهيمنة التركية،[1] وقد أفضى تعاظم نفوذهم إلى تحوّل الديوان الكبير إلى هيئة استشارية شرفية، فيما تمركزت السلطة الفعلية في يد الداي ومعاونيه الكبار.

وقد ساعد الدايات على المحافظة على استقلالهم الفعلي انشغال السلاطين العثمانيين بحروبهم مع الدول الأوروبية[2]، فكانت صلاتهم بإستانبول لا تعدو كونها اعترافا أدبيا بالسلطة الروحية للسلطان مقابل الحصول على لقب الباشا، وقد عبّر عن هذا الواقع أحد الكتّاب الأوروبيين بقوله إن التفويض الذي كان يطلبه الدايات من السلاطين لم يكن سوى إجراء شكلي محض وتحية تُقدَّم لأقوى أمراء الإسلام دون أن يعني ذلك أي اعتراف بالسيادة.

وقد كان من أبرز محطات التطور الداخلي للمؤسسة العسكرية حركة الداي علي خوجة عام 1817، التي سعت إلى إعادة تشكيل هذه المؤسسة بالاستعانة بعناصر من المولدين والكراغلة وقبائل زواوة، غير أن إصابته بالطاعون حالت دون استكمال مشروعه، وقد خلفه الداي حسين باشا الذي آثر تجنّب أي تغيير جذري خشية انهيار المؤسسة العسكرية برمّتها، ويرى سعيدوني أن نجاح مشروع علي خوجة كان سيُفضي إلى تحولات جوهرية في هيكل المؤسسة العسكرية وإزاحة الأقلية التركية عن احتكار السلطة، غير أن الغزو الفرنسي عاجل الجزائر فقضى على هذا التطور المحتمل.

[1] كمال فيلالي، البيلك نظام حكم في الجزائر العثمانية، المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، مرجع سابق، ص 19

[2] نفسه، ص 172

**ب_ علاقة الإدارة المحلية بالسكان:**

يُبيّن سعيدوني أن العلاقة بين السكان والإدارة المحلية ذات الطابع العسكري كانت تقوم على ثلاثة أهداف رئيسية: إقرار الأمن والمحافظة على الطاعة ولو بالقوة، وضمان استخلاص الجباية بشتى الوسائل، والمحافظة على الامتيازات التي تضمن مصالح الجماعات الحاكمة على حساب غالبية السكان، وقد أفضى هذا الأسلوب إلى انعزال الحكام عن غالبية السكان وعدم تجاوب ممثلي الشرائح الفاعلة مع الإدارة المحلية، بل وصل الأمر في بعض الجهات إلى إعلان العصيان والتمرد، وقد عبّر الأدب الجزائري فصيحه وملحونه عن الحالة النفسية الناجمة عن انعدام روح التعاون بين الحكام والمحكومين، ومن أبرز هؤلاء الشاعر أبو عثمان المنداسي التلمساني الذي غادر بلده احتجاجا وشهّر بمعاملة الحكام الأتراك في قصيدته المشهورة[1].

وفي هذا الإطار يُشير سعيدوني إلى أن الهيكل الاجتماعي في الجزائر أواخر العهد العثماني أخذ شكل هرم مقلوب، تحتل قمته الطائفة التركية والجماعات المساندة لها التي تحظى بأكثر الامتيازات دون أن تخضع لأية مطالب، فيما ترزح في القاعدة طائفة البرانية في المدن وجماعات الرعية بالريف التي تقوم بالخدمات وتوفر الإنتاج لكنها لا تكاد تحصل على ما يكفيها، وقد جلبت هذه الأوضاع مخاطر كانت تهدد بتفكك المجتمع والقضاء على أسس نظام الحكم.[2]

**2- الظروف الخارجية والأوضاع الدولية:**

يرى سعيدوني أن الموقع الجغرافي للجزائر المُطلّ على الحوض الغربي للمتوسط المواجه للسواحل الأوروبية كان عاملا محوريا في تشكيل علاقاتها الخارجية، التي تميّزت باستمرار العداء مع الممالك والدول الأوروبية بفعل تعارض المصالح والاختلاف الحضاري وترسبات

[1] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مرجع سابق، ص 174

[2] نفسه، ص 177

الماضي المشحون بروح الصراع الديني منذ انهيار الوجود الإسلامي في الأندلس، وقد تجلّى هذا العداء في النشاط البحري للجزائر العثمانية الذي وصفته الأدبيات الغربية بالقرصنة، وما نتج عنه من قضايا شائكة عمّقت روح التوتر مع العالم الأوروبي،[1] وقد اتخذ هذا الصراع أبعادا عالمية وأصبح ميدانا للصدام بين القوة الإسلامية والقوة المسيحية.[2]

وعلى صعيد علاقات الجزائر في إطار المغرب الإسلامي، كانت سياسة حكامها تقوم على المحافظة على التفوق العسكري إزاء بايات تونس وسلاطين المغرب الأقصى، مع إبقاء صلات التعاون مع الدولة العثمانية لضمان الدعم العسكري والشرعية الدبلوماسية، أما على الصعيد الدولي فقد تحوّلت سياستهم من المواجهة والتصدي في القرنين السادس عشر والسابع عشر إلى الدفاع والتراجع في القرن الثامن عشر أمام التفوق الأوروبي الحربي والتقني والاقتصادي، وقد انتهت الأوضاع مع نهاية القرن الثامن عشر إلى أزمة متعددة الجوانب هزّت المؤسسة العسكرية ونسفت أسس العلاقة بين السلطة والسكان، وحوّلت العلاقات الخارجية إلى عداء صريح وصراع مفتوح، وهو ما أتاح للفرنسيين تحقيق مشروعهم الاستعماري.

**3-اختلاف وجهات النظر حول طبيعة الكيان الجزائري:**

يرصد سعيدوني تباينا واضحا في وجهات النظر حول طبيعة الكيان الجزائري في العهد العثماني، ويُصنّفها في توجهين رئيسيين متقابلين:

**ا-التوجه المؤيد للوجود العثماني:**

يقوم هذا التوجه في أساسه على العامل الديني الذي يجعل الخلفية الدينية المحرك الفاعل في العلاقة بين الحكام العثمانيين وأهالي البلاد، إذ إن دفاعهم عن الإسلام أكسبهم التقدير لدى العامة والقبول لدى الخاصة، وقد تبنّى هذا الموقف غالبية الجزائريين في تلك الفترة ومن أبرزهم أعيان مدينة الجزائر الذين طلبوا الانضمام إلى الخلافة العثمانية سنة 1517 وأعيان

[1] ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر ، منطلقات وآفاق ، مرجع سابق، ، ص 178

[2] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 44

قسنطينة الذين أعربوا عن التزامهم بطاعة السلطان سليمان القانوني، ومن المؤرخين الجزائريين المعاصرين الذين أخذوا بهذا التوجه أحمد توفيق المدني الذي رأى في الوجود العثماني أساس تكوين اللبنات الأولى لدويلات محلية وطنية ببلاد المغرب.[1]

ويرى سعيدوني أن العامل الديني الذي استندت إليه شرعية الحكم ينفي كل صفة عنصرية أو طابع استعماري عن الوجود العثماني، فهو من حيث مفهوم العقيدة يُعدّ حكما وطنيا يستند إلى مبدأ أحقية تولي أمور المسلمين القائم على الكفاءة والقدرة على رعاية شؤونهم والدفاع عن ديارهم، ويُضيف أن عالم البحر المتوسط في تلك الفترة كان يقوم على ثنائية قطبية بين المجال الإسلامي تحت راية الدولة العثمانية والمجال الأوروبي المعادي للعثمانيين، وهو ما جعل التحاق الجزائر بالدولة العثمانية ثم تمايزها واستقلالها عنها لا يُفهم إلا في إطار هذه الجدلية.

**ب-التوجه المعادي للوجود العثماني:**

يستبعد هذا التوجه كل اعتبار لرابطة العقيدة الدينية وينطلق في تحديد موقفه من الاعتبار القومي والتصور الأوروبي لطبيعة السلطة ومفهوم الدولة، معتمدا على الوثائق الأوروبية والمصادر الغربية، وقد انتهى أصحابه إلى نفي استقلال الجزائر عن الدولة العثمانية ونفي خصوصية كيانها السياسي قبل الاحتلال الفرنسي، ومن أبرز من تبنّى هذا التوجه من الكتّاب الفرنسيين غرامون الذي خلص من دراسته للعهد العثماني إلى أن الأتراك كانوا يحتلون الجزائر ولا يحكمونها، ومارسيل إميري الذي اعتبر الجزائر مستعمرة تركية، وقد تبنّى هذا التوجه أيضا بعض الكتّاب الجزائريين والمشارقة الذين تأثروا بترسبات التجربة العثمانية في بلاد الشام والعراق أواخر القرن التاسع عشر.[2]

[1] ناصر الدين سعيدوني، منطلقات وآفاق، مرجع سابق، ص183

[2] نفسه، ص 186

**ج-موقف سعيدوني من التوجهين:**

يرى سعيدوني أن الموضوعية التاريخية والنظرة المحايدة لا تُقرّ أيا من هذين التوجهين، إذ يرى أن أغلب من تناولوا مسألة السيادة الجزائرية كانوا متأثرين بأفكار إيديولوجية وقناعات سياسية أو ميول ثقافية خاصة، مما حال دون توجّه الدراسات التاريخية نحو التعمق في البحث والوضوح في الرؤية والاعتدال في الحكم، ويخلص إلى أن الكيان الجزائري في الواقع لم يأخذ شكل الأمة الكاملة السيادة والدولة المطلقة الصلاحية، كما أنه لم يكن كيانا مصطنعا مرتبطا بالخارج، بل هو نتاج عصره وبيئته وكيان سياسي محلي ساعد على تعميق الشعور بالانتماء والتمايز لدى شرائح واسعة من سكان الجزائر.

ويُحدد سعيدوني موقفه النهائي بأن مسألة السيادة الجزائرية في العهد العثماني تندرج في إطار حركة عامة هي الظاهرة العثمانية التي تأثرت بها الجزائر كما تأثرت بها تونس وطرابلس ومصر وسائر الولايات العثمانية، فالجزائر لم تكن أمة بالمعنى الحديث للكلمة لكنها كانت دولة لها خصوصيتها وحكومة لها سياستها، ظهرت بفعل عامل التحدي في غرب المتوسط وتطورت مع تحول الدولة العثمانية من الاندفاع إلى التراجع، مما يجعلها مماثلة لباقي أقاليم شمال إفريقيا من مصر محمد علي وتونس البايات الحسينيين والمغرب العلوي.[1]

**ثالثا: موقفه النقدي من الكتابات الفرنسية حول الجزائر العثمانية**

يُولي سعيدوني أهمية بالغة لنقد المصادر والكتابات التاريخية التي تناولت الجزائر في العهد العثماني، ويرى أن أغلب الدراسات الفرنسية في هذا الشأن تعاني من قصور منهجي واضح يتجلى في اقتصارها على الأرشيفات الأوروبية والمصادر الغربية دون الرجوع إلى المصادر المحلية الأصلية إن تجاهل هذه المصادر أدى إلى غياب رؤية متوازنة[2] وشاملة في

[1] ناصر الدين سعيدوني، منطلقات وآفاق، مرجع سابق ، ص 189.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، ط2 الجزائر، 2009م، ص31.

كتابة التاريخ، فقد شملت هذه المصادر الغربية مذكرات الرحالة التي كانت تعكس انطباعات شخصية سطحية، ومراسلات القناصل المرتبطة بمصالح سياسية ودبلوماسية، وتقارير البحارة وحكايات المسافرين وانطباعات الرهبان، وهي نصوص تفتقر في كثير من الأحيان إلى الدقة العلمية والحياد الموضوعي[1]، وفي المقابل أُهملت مصادر تاريخية محلية ذات قيمة كبيرة كوثائق الأرشيف العثماني في تركيا والمخطوطات المحفوظة في المكتبات الجزائرية[2] المشتملة على سجلات إدارية ومراسلات رسمية ووثائق قضائية.

وفي تفسيره لهذا القصور يُشير سعيدوني إلى أن أغلب الدراسات الفرنسية التي تناولت الجزائر خلال فترة الاستعمار لم تكن دراسات محايدة بالمعنى العلمي، بل كانت موجَّهة تخدم المشروع الاستعماري الفرنسي بشكل مباشر. إذ سعى هؤلاء الكتّاب إلى توظيف التاريخ أداة إيديولوجية لتبرير الاحتلال وإضفاء الشرعية عليه، من خلال تصوير الوجود العثماني في الجزائر على أنه عامل سلبي أعاق التطور وكرّس الاستبداد، مع تضخيم مظاهر الظلم المنسوبة للحكم العثماني بهدف رسم صورة قاتمة عن تلك المرحلة التاريخية، فقد سعى هؤلاء الكتّاب إلى توظيف التاريخ كأداة إيديولوجية لتبرير الاحتلال وإضفاء الشرعية عليه، وذلك من خلال تقديم قراءة انتقائية ومتحيزة لماضي الجزائر، خاصة فيما يتعلق بفترة الحكم العثماني[3].

ويُنبّه سعيدوني إلى أن الربط بين تأخر المجتمعات المغاربية والفترة العثمانية حكم متسرع يفتقر إلى الدقة التاريخية، ويرى أن جدلية التأخر الحضاري لا يمكن اختزالها في عامل واحد أو فترة بعينها بل ترتبط بتحولات كبرى عرفها العالم الإسلامي من أبرزها سقوط الأندلس الذي مثّل نقطة تحوّل مفصلية انعكست آثارها على مجمل المنطقة. ومن هذا المنطلق يدعو إلى

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، التاريخ وأهميته في بناء الوطن، مجلة الباحث، ع 2، 1984، ص15.

[2] محمد الطاهر العدواني، حول منهج العلمي لكتابة تاريخ الثورة، المدرسة التاريخية الجزائرية في الجزائر، دار الهدى، 1998، ص 112.

[3] ابو القاسم سعد الله، "منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، ع14، الجزائر، 1973م، ص58.

إعادة قراءة الفترة العثمانية بعيدا عن الأحكام المسبقة وباعتماد منهج علمي يستند إلى تنوع المصادر وتحليلها بموضوعية، بما يسمح بفهم أكثر توازنا ودقة لتاريخ الجزائر، من خلال الاعتماد على مصادر متنوعة، خاصة المحلية منها، واعتماد منهج نقدي يهدف إلى كشف التحيزات الإيديولوجية التي طبعت الكتابات الفرنسية، وبذلك يمكن الوصول إلى فهم أكثر توازنا وموضوعية لمختلف المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر[1].

**ثانيا: موقفه من المسألة البربرية:**

تحتل المسألة البربرية مكانة بارزة في اهتمامات المؤرخ ناصر الدين سعيدوني البحثية، إذ يتناولها من زاوية تاريخية تحليلية تتجاوز العرض المبسط، وتسعى إلى الكشف عن الجذور الحقيقية لهذه المسألة ومنطلقاتها الفكرية والإيديولوجية التي ارتبطت في نظره ارتباطا وثيقا بالمشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر وسعيه الدؤوب إلى ضرب وحدة الشعب الجزائري وتدمير أسس هويته العربية الإسلامية، ومن هذا المنطلق يطرح سعيدوني جملة من التساؤلات الجوهرية حول هذه المسألة: هل هي نتاج حركية التاريخ الجزائري الداخلي أم أنها إفراز من إفرازات السياسة الفرنسية في الجزائر؟[2] وهل تعبّر عن يقظة قومية حقيقية قائمة على التمايز الإثني والخصوصية الثقافية أم أنها مجرد انعكاس لتأزم المناخ السياسي وانسداد الوضع الاجتماعي والاقتصادي الناجم عن فشل المشروع الوطني في تجاوز الموروث الاستعماري؟

وقد اختار سعيدوني استعمال مصطلح (البربرية) عوضا عن (الأمازيغية)، مستندا في ذلك إلى أصالته التاريخية، معتبرا أن مصطلح الأمازيغية كلمة موضوعة لغرض سياسي إيديولوجي تهدف إلى التستر عن الأصول الحقيقية لهذه المسألة والقفز من الخاص إلى العام، بحيث تكتسي قناعات النخبة الداعية لها شكل مطالب مشتركة لمختلف المجموعات الناطقة بالبربرية، كما يحرص على التمييز بين سكان منطقة القبائل بوجه عام وبين تلك النخبة

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق، ص33.

[2] ناصر الدين سعيدوني، في الهوية والانتماء الحضاري، دار البصائر، الجزائر، 2014، ص172

الفرانكوفونية المحدودة التي تحمل هذه الأفكار وتروّج لها، مؤكدا أن القبائل عبر تاريخهم جزء لا يتجزأ من المجموعة الوطنية الجزائرية ولا يختلفون عن غيرهم في قناعاتهم وإسهامهم في تعزيز الهوية الوطنية.

## 1: الجذور الاستعمارية للمسألة البربرية:

يرى سعيدوني أن الفكرة المؤسسة للمسألة البربرية في الجزائر تندرج ضمن المخطط الاستعماري الفرنسي الرامي إلى إلغاء الوجود التاريخي للشعب الجزائري من حيث أسسه المادية ومقوماته الحضارية، وقد تحددت معالم هذا المشروع في فكرة تقسيم سكان الجزائر وتصنيفهم إلى بربر وعرب، حيث سخرت فرنسا مجموعة من الوسائل والهيئات العلمية، واستعملت رجال الدين والمبعوثين الحكوميين والجواسيس[1] والمستشرقين لهدف دراسة المجتمع الجزائري وتوظيف ما تنتجه هذه الأطراف من كتابات لخدمة مشروعها الاستعماري وعملت على توفير الشروط الملائمة لبقاء فرنسا في الجزائر من جهة، وتهيئة الظروف لتكوين كيانات محلية قائمة على التمايز اللغوي والخصوصية الإثنية في حال انتهاء السيادة الفرنسية من جهة أخرى.

وقد وجد مخططو السياسة الاستعمارية في المناطق التي احتفظ سكانها بلهجاتهم البربرية كالأوراس وميزاب والهقار والقبائل ما يرونه شروطا أولية لتحقيق مآربهم، وتركز اهتمامهم بصفة خاصة على منطقة القبائل لاعتبارات عدة، أبرزها قربها من العاصمة وكثافتها السكانية وصعوبة تضاريسها وشُح مواردها مما جعلها غير مؤهلة للاستيطان الأوروبي الواسع، فضلا عن تميّز سكانها بخصائص لغوية وعادات وتقاليد راسخة جعلت الإداريين الفرنسيين يرون فيهم مجتمعا محافظا على استقلاليته معتزا بانتمائه القبلي.

[1] الغالي غربي، عطاالله فشار، "المدرسة التاريخية الفرنسية وموقفها من الوجود العثماني في الجزائر"، **مجلة دراسات وأبحاث**، الجزائر، العدد 26، 2017، ص 249.

**2-آليات تكريس الفكرة البربرية وأدواتها:**

بعد إخضاع منطقة القبائل وإخماد مقاومتها في منتصف القرن التاسع عشر، انصبّ اهتمام الضباط الفرنسيين والموظفين الإداريين العاملين في المنطقة على رصد كل ما يميز سكان القبائل عن سائر الجزائريين، وذلك بتشجيع مباشر من الحكام العامين للجزائر الذين كانوا يُصدرون تعليمات خاصة بفصل القبائل عن غيرهم في المعاملات وفي القوانين، وقد أبدى هؤلاء الضباط والموظفون حماسة واضحة في مهمتهم حتى عُرفوا في الأوساط الإدارية الفرنسية بأصحاب الميول القبائلية، وكوّنوا لأنفسهم قناعات تتلخص في ضرورة فصل القبائل عن باقي الجزائريين وإيجاد ما يعرف بـ(السياسة البربرية)، غير أن هذه السياسة ظلت في نهاية المطاف مجرد فكرة إيديولوجية وخطة سياسية عجزت عن التطبيق الفعلي بسبب رفض غالبية السكان لها وتخوف المعمرين الأوروبيين من نتائجها، وهو ما جعل بعض الدارسين للسياسة الفرنسية في الجزائر يصفونها بـ(الوهم القبائلي)[1].

وقد أسهمت هذه الفترة في تكوين رصيد أدبي وتاريخي وإيديولوجي ضخم حول المسألة البربرية، بدأت إرهاصاته الأولى مع المستشرقين الفرنسيين في أواخر القرن الثامن عشر الذين اهتموا برصد خصائص اللغة البربرية ومفرداتها، ثم تطور هذا الرصيد ليشمل على مدى يزيد عن قرن من الزمن دراسات إثنوغرافية واجتماعية وأنثروبولوجية تعالج عادات القبائل وتقاليدهم وموروثهم الشفوي وآثارهم المادية ودلالاتهم اللغوية، وقد حرصت مراكز البحث الفرنسية على توفير هذا الرصيد وجعله مرجعا مفضلا للباحثين الفرنسيين ودعاة الفكرة البربرية في الجزائر.

**3- الأسس الفكرية للسياسة البربرية الفرنسية:**

شكّلت الدراسات الفرنسية حول المسألة البربرية أدبيات إيديولوجية ومعالجات إثنوغرافية كانت الأساس الذي يقوم عليه ما سُمي بعلم الاجتماع الاستعماري في الجزائر، وتتحدد الخطوط

[1] ناصر الدين سعيدوني، في الهوية والانتماء الحضاري، مرجع سابق، ص 174

العامة للفرضيات والأفكار المؤسسة لهذه السياسة في عدة محاور رئيسية يستعرضها سعيدوني بالتحليل والنقد:

**فصل القبائل عن باقي الجزائريين:** إذ حرصت الإدارة الفرنسية على سن قوانين وتعليمات تهدف إلى إبعاد القبائل عن سائر الجزائريين في المعاملات الإدارية والتمثيل المحلي، مستندةً إلى حجة المحافظة على الإثنية الأصلية لسكان شمال إفريقيا [1]المهددة في زعمهم من العنصر العربي، وهو زعم يرفضه سعيدوني جملة وتفصيلا. (في الهوية والانتماء الحضاري، ص179)

**التشكيك في الانتماء العربي لشمال إفريقيا:** إذ أصرّ كثير من الكتّاب والإداريين الفرنسيين على اعتبار سكان المنطقة بربرا في الأصل وأن العرب ما هم إلا غزاة دخلاء فرضوا الإسلام على المنطقة بالقوة [2]، وذهبوا إلى أن التأثير العربي في المغرب ظل محدودا وأن البربر احتفظوا برغم ذلك بتفوقهم العددي وخصائصهم الأصيلة.

**تقريب القبائل من الأوروبيين:** إذ انتهى بعض دارسي البربريات الفرنسيين إلى اعتبار القبائل أقرب الجماعات السكانية إلى الأوروبيين من حيث الطباع والاستعداد لتقبل الحضارات المختلفة، واصفين إياهم بأنهم شعب نبيل قابل للتحول السريع والتعايش مع الحضارات الأخرى، وهو توصيف لا يخفى ما وراءه من أهداف استعمارية ترمي إلى استمالتهم وفصلهم عن هويتهم العربية الإسلامية، وبالمقابل وصف العرب بعدم أحقيتهم للاستقلال[3].

**ثالثا: موقفه من الثورة التحريرية:**

تحتل الثورة الجزائرية مكانة محورية في اهتمامات سعيدوني البحثية، إذ يتناولها من منظور حضاري شامل يتجاوز النظرة الضيقة التي تختزل الثورة في مواقف شخصية وبطولات

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، في الهوية والانتماء الحضاري، مرجع سابق، ص 179

[2] همال عبد السلام،"المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية بالجزائر (1830-1962) الأسطورة القبائلية البربرية نموذجا"، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، العدد 8، 2015، ص 29

[3] محمد الشريف ساحلي، **تخليص التاريخ من الاستعمار**، تر: محمد الشريف بن دالي حسين، محمد هناد،د ط، ص11.

فردية، ليضعها في سياقها التاريخي العميق باعتبارها حتمية حضارية فرضتها طبيعة التطور التاريخي للأمة الجزائرية، وتتمحور معالجته لهذه القضية حول ثلاثة محاور رئيسية: مكانة الثورة في التاريخ الجزائري العام، وحتميتها التاريخية، والعبر والدروس المستخلصة منها.

**أ- مكانة ثورة أول نوفمبر في التاريخ الجزائري:**

يرى سعيدوني أن فهم المكانة الحقيقية لثورة أول نوفمبر يستلزم النظر إلى أحداث التاريخ الجزائري نظرة شمولية يكون فيها الشعب الجزائري ممثلاً للأحداث والوطن الجزائري مسرحا للتفاعلات الحضارية، بدلا من الاكتفاء بالأحداث الفردية والحوادث العرضية. وبهذه النظرة يغدو التاريخ الجزائري تيارا متواصلا من الأحداث وتطورا مستمرا للمجتمع عبر أكثر من خمسة آلاف سنة.[1]

وفي إطار هذه النظرة الشمولية يُحدد سعيدوني ثلاثة أحداث خطيرة غيّرت مجريات التاريخ الجزائري وأدت إلى نتائج بعيدة المدى:

**الحادث الأول:** الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، الذي أسبغ على الشعب الجزائري وباقي شعوب المغرب مقوماته الحضارية المتمثلة في اعتناق العقيدة الإسلامية والارتباط العضوي والمصيري بالمنطقة العربية الإسلامية، فأوجد العقيدة الموحدة واللسان المشترك والإحساس بالانتماء إلى حضارة واحدة.

**الحادث الثاني:** الجهاد البحري الذي أدى إلى إلحاق الجزائر بالإمبراطورية العثمانية في أوائل القرن السادس عشر، وأسفر عن تميّز الجزائر بكيانها السياسي وحدودها الحالية وعاصمتها المركزية، مما سمح بتكوين الأمة الجزائرية وأرسى أسس الدولة الجزائرية ورسّخ الشعور الوطني سلاحاً فعالاً في وجه كل تدخل أجنبي.

**الحادث الثالث:** ثورة أول نوفمبر التي يعدّها سعيدوني المنعرج الأخير الذي سمح بتعديل سير التاريخ الجزائري وتصحيح مسيرته الحضارية. فإذا كان الفتح الإسلامي قد أوجد المقومات

[1] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مرجع سابق، ص 290.

الحضارية، والجهاد البحري قد أرسى المقومات السياسية، فإن ثورة نوفمبر هي التي بلوّرت تلك المقومات وأخرجتها من الحيز النظري إلى الواقع العملي في شكل شعب حر ودولة مستقلة. كما أن أهمية هذه الثورة تكمن في كونها عملية بعث وتجديد مكّنت الشعب الجزائري من وقف الانهيار الحضاري الذي عرفه العالم الإسلامي، وحالت دون التصفية الحضارية للأمة الجزائرية التي خطط لها الاستعمار الفرنسي. [1]

**2: حتمية ثورة أول نوفمبر:**

يجيب سعيدوني عن سؤال حتمية ثورة أول نوفمبر بإدراجها ضمن منظور حضاري شامل، مستعيناً بنظرية المؤرخ الإيطالي جيام باتستافيكو التي تكمل نظرية ابن خلدون، والتي ترى أن مسار التاريخ نتيجة للعناية الإلهية والإرادة الربانية وأن عجلة التاريخ لا يمكن أن تتوقف. وانطلاقا من هذه النظرية يرى سعيدوني أن أي شعب تعرض للاحتلال وفُرضت عليه سياسة استعمارية غاشمة كانت أوضاعه مماثلة لما عرفه الشعب الجزائري، لا بد أن يتحدد مصيره بأحد ثلاثة حلول: الاستقلال وبعث القيم الحضارية، أو الاندماج في حضارة أخرى باكتساب قيم الشعب المتفوق عسكرياً وحضارياً، أو الذوبان النهائي في حضارات غريبة كما حدث لأمم انقطعت مساهمتها الحضارية[2]

ومن خلال هذه الرؤية يخلص سعيدوني إلى أن الشعب الجزائري بثورة أول نوفمبر لم يرضَ بالحل الثاني الذي دعا إليه دعاة الاندماج، ولم يستكن للحل الثالث الذي أراد المعمرون الفرنسيون فرضه عليه، بل اختار عن وعي وإصرار الحل الأول الذي يتميز به الشعوب الحية الأصيلة المحصنة بالقيم الحضارية والمدعّمة بالذاكرة التاريخية الواعية. وهو ما يجعل ثورة أول نوفمبر في نظره حتمية تاريخية كان لا بد من حدوثها آجلاً أم عاجلاً، وليست حادثاً

[1] ناصر الدين سعيدوني ، منطلقات وآفاق ، مرجع سابق ، ص 291

[2] ناصر الدين سعيدوني ، منطلقات وآفاق ، مرجع سابق ، ص 293

عرضياً أدّت إليه الظروف أو أعمالاً شخصية وبطولات فردية كما يذهب إلى ذلك بعض مؤرخي الفترة الاستعمارية.

ولتعميق هذا التحليل يرى سعيدوني بأن حالة الفعالية التي تحرك الطاقات الاجتماعية وتوجهها بفعل المبررات والدوافع الإنسانية إلى أسمى الغايات، وأثناء ذلك يكون المجتمع في حالة خطر وتحفز يبدأ فيها باستعادة مبرراته المفقودة أو البحث عن مبررات جديدة، ويرى سعيدوني أن الشعب الجزائري عاش هذه الحالة عشية الثورة، مشيراً إلى أن عوامل التحضير والتوعية توفرت في نشاط الحركة الوطنية منذ الربع الأول من القرن العشرين، وأن التجارب الميدانية المتراكمة وفي مقدمتها أحداث 8 ماي 1945 الدموية، وإصرار الطلائع الأولى التي فجّرت الثورة على تحقيق الهدف، كانت عوامل مكّنت مجموعة صغيرة من المناضلين من إشعال فتيل الثورة التي التقطها الشعب. [1]

**3- العبر والدروس المستخلصة من ثورة أول نوفمبر:**

يُنبّه سعيدوني ابتداءا إلى أن استخلاص العبر والدروس من ثورة أول نوفمبر يفرض تناول الوقائع من خلال التركيز على طبيعة الأحداث وتلمس أسبابها البعيدة ونتائجها اللاحقة، وأن يكون تناولها في نطاق مناخها الحضاري الأصيل بعيدا عن المفاهيم الإيديولوجية المحددة والمدارس الفكرية اليسارية واليمينية، مع ربطها بأسبابها المباشرة المتمثلة في تطور الحركة الوطنية الجزائرية وأسبابها البعيدة المتمثلة في حالة قابلية الاستعمار التي كانت تعيشها الجزائر والمنطقة العربية الإسلامية

وأبرز ما يستخلصه سعيدوني من عبر ودروس يمكن إجماله فيما يلي:

-: إن ثورة أول نوفمبر تعبّر بصدق عن أحد المظاهر المتجددة في التاريخ الجزائري المفصحة عن جذوة المقاومة التي لا تنطفئ وروح العناد والتحدي التي لا يحدّ من تأثيرها اختلال موازين

[1] ناصر الدين سعيدوني ، منطلقات وآفاق ، مرجع سابق، ص 296

القوى لصالح الخصم، مما يجعلها استمراراً لكفاح طويل وملحمة بطولية بين قوة استعمار متسلط وإرادة شعب مستميت.

_إن أول نوفمبر يقدم مثالا حيا على مدى الطاقات الكامنة في الشعب الجزائري التي إذا توفرت لها الظروف المناسبة انطلقت وقلبت الأوضاع، وأن هذه الطاقات لا تتحول إلى إرادة فاعلة إلا بتوفر عوامل التحضير والتوجيه واكتساب التجربة وتحديد الهدف وتوفر الإرادة المصمّمة على تحقيق الغاية مهما عظمت التضحيات.

_إن الثورة الجزائرية كانت وستظل أحد المظاهر الحضارية الخالدة التي عبّر فيها الشعب الجزائري عن قدرته على التلاؤم مع شروط بيئته الخاصة والانتفاع بإمكانياته الذاتية، بعد أن مرّ بتجارب النجاح والفشل منذ 1830، من مقاومة سكان المدن بين 1830 و1847 ثم أهالي الأرياف بين 1847 و1919 وصولاً إلى المقاومة السياسية منذ 1919، مقدّماً بذلك شهادة لا تقبل الشك على أن أي حل لأي قضية تحررية يوجد داخل الشعب نفسه وليس خارجه.[1]

_إن أول نوفمبر أكّد عمليا أن سر النجاح في أي معركة لا تقرره الوسائل التكنولوجية ولا محاولات التقليد أو التقوقع أو الرفض، بل إيجاد الدافع الداخلي وتوفر الإرادة المشتركة للأمة هي القوة الحية التي لا تقف في وجهها أية قوة مهما عظم شأنها، وهذا ما يجعل روح نوفمبر في نظر سعيدوني وثيقةَ بعث الأمة الجزائرية وإطار إعادة تجديد كيان الدولة الجزائرية، بعد أن عمل الاستعمار على تصفيتها سياسيا ومحوها اقتصاديا وتشويهها ثقافيا ومن هنا يدعو سعيدوني إلى المحافظة على روح نوفمبر باعتبارها الشرط الأساسي للنجاح في عملية البناء الحضاري والحالة النفسية الكفيلة بتجنيد الشعب لبلوغ الغاية الحقيقية من الاستقلال.

[1] ناصر الدين سعيدوني ، منطلقات وآفاق ، مرجع سابق ، ص 297.

# الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

_تشكّلت شخصية سعيدوني العلمية في بيئة دينية وتربوية متميزة، وقد انعكس هذا التكوين المبكر بوضوح على مساره الفكري وطريقة تعاطيه مع التاريخ بوصفه رسالة وطنية قبل أن يكون تخصصا أكاديميا.

_تميّزت مسيرة سعيدوني الأكاديمية بالاستمرارية والتنوع، إذ أنتج ما يزيد على خمسة وثلاثين مؤلفا في حقول متعددة، وأشرف على مجلات علمية متخصصة امتدت لسنوات طويلة، وأصبح مرجعاً لا يُتجاوز في مجال الدراسات العثمانية التي أفنى فيها جزءا كبيرا من عمره البحثي مستندا إلى أرشيفات ووثائق أصلية نادرا ما يصل إليها غيره.

_يرى سعيدوني أن التاريخ ليس مجرد تسجيل للوقائع، بل هو دراسة عميقة لمسيرة الإنسان في علاقته ببيئته عبر الزمن، وتتمحور أهدافه حول ثلاثة أبعاد متكاملة: ثقافي معرفي يصون الذاكرة الجماعية، وتربوي أخلاقي يعزز الانتماء والمسؤولية، ومنهجي علمي يُنمّي ملكة التحليل والاستنتاج.

_صنّف سعيدوني النص التاريخي إلى ثلاثة أنواع: الوصفي الاستعراضي الذي يكتفي بسرد الأحداث دون تحليل، والإيحائي الموجّه الذي يوظّف التاريخ لخدمة أغراض إيديولوجية، والتحليلي المحايد الذي يقوم على مساءلة الأحداث وتفسيرها بموضوعية، وهو النموذج الذي دعا إليه بإلحاح باعتباره الأرقى في الكتابة التاريخية الرصينة.

_قدّم منهجا بحثيا متكاملا يمر بمراحل متتابعة تبدأ باختيار الموضوع وصياغة إشكاليته، مرورا ببناء الخطة وجمع المادة ونقدها خارجيا وباطنيا، وانتهاء بمرحلة التحليل والتركيب والصياغة العلمية الدقيقة، وهو منهج يجمع في نظره بين الصرامة العلمية والحس النقدي والأمانة الأخلاقية.

_لم يكتفِ سعيدوني بالتنظير بل وجّه نقدا صريحا لواقع الكتابة التاريخية في الجزائر، إذ رصد تهميش المؤرخ المتخصص لصالح الإيديولوجيين، وتحوّل أستاذ التاريخ إلى ملقّن للمعلومات

بدل أن يكون باحثا ومحللا، وغياب الإطار العلمي الموجّه الذي أفضى إلى تكرار الموضوعات المستهلكة دون إضافة حقيقية للمعرفة التاريخية الوطنية.

_رفض سعيدوني رفضا قاطعا وصف الوجود العثماني في الجزائر بالاستعمار، معتبرا الجزائر كياناً سياسيا مستقلا له خصوصيته وحكومته التي نشأت بفعل تحديات حوض المتوسط، ووجّه نقداً منهجيا للكتابات الفرنسية التي اقتصرت على المصادر الأوروبية متجاهلة المصادر المحلية كالأرشيف العثماني والمخطوطات الجزائرية، مما أنتج صورة مشوّهة عن تلك المرحلة خدمت المشروع الاستعماري أكثر مما خدمت الحقيقة التاريخية.

_أكّد سعيدوني أن جذور المسألة البربرية تعود إلى المخطط الاستعماري الفرنسي الرامي إلى تفتيت وحدة الشعب الجزائري عبر تصنيف سكانه وإيجاد كيانات قائمة على التمايز اللغوي والإثني، مميّزا بين القبائل بوصفهم جزءا راسخا من المجموعة الوطنية، وبين النخبة الفرانكوفونية المحدودة التي روّجت لهذه الأفكار لأغراض سياسية.

_اعتبر سعيدوني ثورة أول نوفمبر حتمية تاريخية نابعة من صميم مسار الأمة الجزائرية لا حادثاً عرضيا أملته الظروف، إذ جاءت تتويجا لكفاح ممتد منذ 1830 واستجابة لتراكم عوامل الوعي الوطني والتجربة الميدانية، وهي في نظره المنعرج الأخير الذي صحّح مسيرة التاريخ الجزائري وأنقذ الأمة من التصفية الحضارية التي خطط لها الاستعمار الفرنسي بمنهجية واضحة.

_يُمثّل ناصر الدين سعيدوني في مجمل مسيرته نموذجا فريدا للمؤرخ الأكاديمي الجزائري الذي جمع بين التنظير المنهجي الدقيق والتطبيق البحثي الميداني المعمّق، وأسهم في بناء وعي تاريخي وطني يقوم على الموضوعية والنقد العلمي بعيدا عن التوظيف الإيديولوجي، مقدّما بذلك نموذجا يُحتذى به في الكتابة التاريخية الجزائرية المعاصرة.

# قائمة الملاحق

الملحق 01: صورة ناصر الدين سعيدوني:

**المصدر: مؤسسة وسام العالم الجزائري**

**الملحق 02: تكريمه من طرف قناة الشروق**

**المصدر: قناة الشروق**

**الملحق 03: الصورة تذكارية للمؤرخ ناصر الدين سعيدوني خلال ندوة علمية**

**المصدر: مؤسسة وسام العالم الجزائري**

**الملحق 04: تتويج ناصر الدين سيدعوني بجائزة عالم الجزائر:**

المصدر جريدة البصائر: https://elbassair.dz/17123

**الملحق 05 : كتاب بعنوان : الجزائر منطلقات وآفاق ، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهين تاريخية**

**للكاتب الأستاذ الدكتور : ناصر الدين سعيدوني**

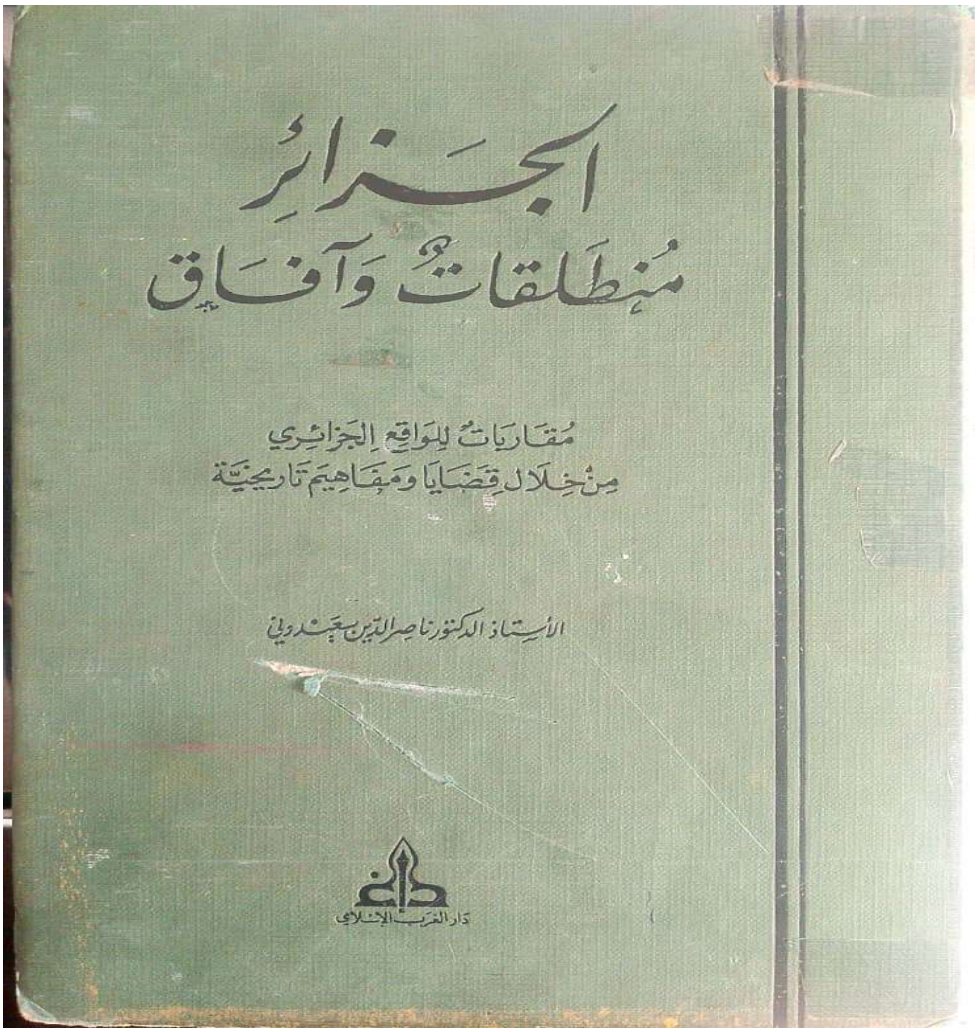

**الملحق 6 : كتاب بعنوان : في الهوية والانتماء الحضاري ،**

**للكاتب الأستاذ الدكتور : ناصر الدين سعيدوني**

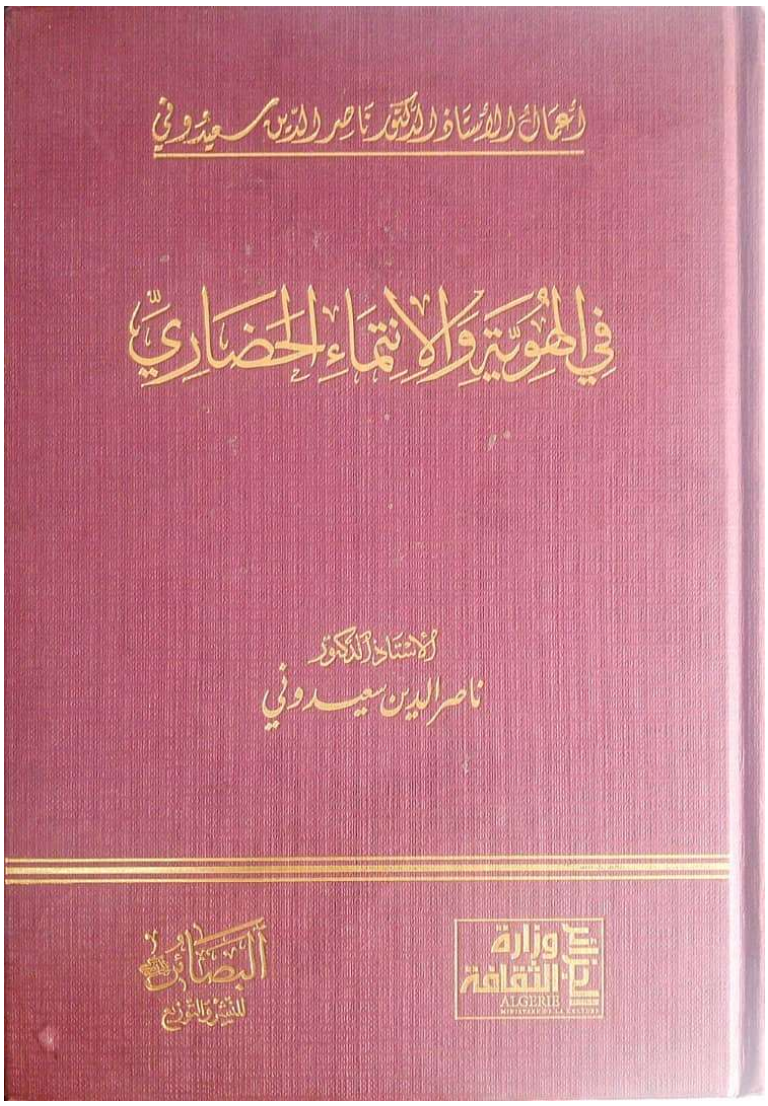

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع:

### أولا:المصادر:

#### 1-الكتب:


1. سعيدوني، ناصر الدين .أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000م.
2. سعيدوني، ناصر الدين" .التاريخ وأهميته في بناء الوطن"، مجلة الباحث، ع2، 1984م.
3. سعيدوني، ناصر الدين .تاريخ الجزائر في العهد العثماني، د. ط.
4. سعيدوني، ناصر الدين .الجزائر منطلقات وأفكار: مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000م.
5. سعيدوني، ناصر الدين .في الهوية والانتماء الحضاري، دار البصائر، الجزائر، 2014م.
6. سعيدوني، ناصر الدين .المسألة الثقافية في الجزائر: النخب، الهوية، اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2021م.
7. سعيدوني، ناصر الدين .من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي: تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1999م.
8. سعيدوني، ناصر الدين .ورقات جزائرية: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، ط2، الجزائر، 2009م.

**2-المقالات التي نشرها ناصر الدين سعيدوني**

1. سعيدوني، ناصر الدين" .صفحات من ماضي الجزائر المجيد: البحرية الجزائرية، ظروف نشأتها وعوامل تطورها وأسباب ضعفها"، مجلة الدراسات التاريخية، مج7، ع1، 1997م.

**ثانيا: المراجع:**

1. بوعزة، بوضرساية .رواد المدرسة التاريخية، دار المحكمة، الجزائر، 2007م.
2. بوغفالة، رشاد .ندوة رائد الدراسات ناصر الدين سعيدوني: الوثائق العثمانية في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2014م.
3. بوغفالة، ودان .المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، 2014م.
4. بوهند، خالد .النخب الجزائرية 1892-1942، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2020م.
5. ساحلي، محمد الشريف .تخلص التاريخ من الاستعمار، ترجمة: محمد الشريف بن دالي حسين ومحمد هناد، (د. ط) (د.ت).
6. سعد الدين، إبراهيم .الملل والنحل والأعراق: هموم الأقليات في العالم العربي، دار ابن رشد، القاهرة، 2018م.
7. سعد الله، أبو القاسم" .منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، ع14، الجزائر، 1973م.
8. شمامة، خير الدين (وآخرون) .اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013م.

9. العدواني، محمد الطاهر .حول المنهج العلمي لكتابة تاريخ الثورة: المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الهدى، 1998م.

10. نايلي، عبد القادر .المقاومات والانتفاضات الشعبية من خلال المجلة الإفريقية، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

11. يحي، بوعزيز .أعلام وثقافة في الجزائر المغربية، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1995م.

**ثالثا: الرسائل الجامعية**

1. تواق، حنان؛ رافع، آسيا .الدراسات العثمانية في الكتابات المغاربية من خلال كتابات ناصر الدين سعيدوني وعبد الجليل التميمي، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث، جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة، 2020–2021م.

2. نايب، ساعد؛ بوغفالة، فيصل .المؤرخ ناصر الدين سعيدوني: الإنتاج العلمي ومقاربات البحث، مذكرة ماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي المعاصر، جامعة ابن خلدون – تيارت، 2024–2025م.

**رابعا: المقالات العلمية والنشريات**

1. رحماني، نعيمة" .بدايات تشكّل الذات التاريخية عند المؤرخ ناصر الدين سعيدوني: التأليف العلمي الموسوعي أنموذجًا"، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية، مج5، ع2، 2022م.

2. سهلة، أحمد سير" .إسهامات المؤرخ ناصر الدين سعيدوني في كتابة تاريخ الجزائر الاقتصادي خلال العهد العثماني"، مجلة العلوم، مج5، ع3، 2020م.

3. عربي، الغالي؛ فشار، عطاالله" .المدرسة التاريخية الفرنسية وموقفها من الوجود العثماني في الجزائر"، مجلة دراسات وأبحاث، ع26، 2017م.

4. عويمر، مولود" .ذكرياتي عن أستاذي الدكتور ناصر الدين سعيدوني الجزائري"، مجلة البصائر، الجزائر، 2017م.

5. همال، عبد السلام" .الأسطورة القبائلية البربرية في كتابات المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية بالجزائر"(1830-1962)

6. سعيدوني، معاوية" .الدكتور سعيدوني كما عرفته: ملامح شخصيته ونظرته إلى الحياة"، مجلة القلم، ع1، دار البصائر الجديدة، 2016م.

**خامسا: المواقع الإلكترونية**

1. مؤسسة وسام العالم الجزائري .المؤرخ والمحقق ناصر الدين سعيدوني العابد في محراب تاريخ الجزائر: السيرة الذاتية والعلمية، 2021م، https://algerianscholaraward.org/%D8%A3-%D8%AF-%D9%86%D8%A7%D8%B5%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D8%B3%D8%B9%D9%8A%D8%AF%D9%88%D9%86%D9%8A ، تاريخ الزيارة 2026/05/20، على الساعة : 21:30

2. وزارة الشؤون الدينية والأوقاف (المركز الثقافي الإسلامي) .ناصر الدين سعيدوني الباحث في التاريخ العربي الإسلامي والمحقق في التاريخ الجزائري، الجزائر، 2015م، https://kshaf.awqaf.gov.qa/handle/1234/16056، تاريخ الزيارة : 2026/05/15 ، على الساعة 21:00

3. الورواري، محمد" .منارات: حلقة المؤرخ الجزائري ناصر الدين سعيدوني"، قناة العربية، 28 أكتوبر 2017م، https://www.youtube.com/playlist?list=PLNSQ__D63e2zHMYT7CN2f9IVcxMXfP20S ، تاريخ الاطلاع ، 2026/05/16 ، على الساعة 20:00

# فهرس الموضوعات

**الفهرس:**


| | |
|---|---|
| **مقدمة** | أ |
| **الفصل الأول: السيرة الذاتية والعلمية لناصر الدين سعيدوني** | 6 |
| **أولا: حياة ناصر الدين سعيدوني ومسيرته العلمية** | 9 |
| **1-نشأته الأولى وطفولته** | 9 |
| **2-مرحلة الجامعة والبحث العلمي** | 12 |
| **3-المهام والمسؤوليات العلمية** | 14 |
| **ثانيا: الإنتاج الفكري والعلمي لناصر الدين سعيدوني** | 15 |
| **1-حركيته في إنتاج المعرفة** | 16 |
| **2-المؤلفات والإصدارات الفكرية** | 18 |
| **3-المحاضرات داخل الوطن وخارجه** | 21 |
| **4-تكريمات واستحقاقات** | 22 |
| **الفصل الثاني: الكتابة التاريخية عند المؤرخ ناصر الدين سعيدوني** | 24 |
| **أولا: مفهوم التاريخ وأهدافه عند المؤرخ ناصر الدين سعيدوني** | 26 |
| **1-نظرته إلى التاريخ وأهدافه** | 26 |
| **2-موقفه من إشكالية النص التاريخي في الفكر العربي** | 28 |
| **ثانيا: مواصفات النص التاريخي وأصنافه** | 29 |
| **1-مواصفات النص التاريخي وعوامل بنائه** | 29 |
| **2-أصناف النص التاريخي** | 33 |
| **3-دعوة سعيدوني إلى نص تاريخي جديد** | 35 |
| **ثالثا: منهجه في البحث التاريخي وموقفه من الكتابة التاريخية الجزائرية** | 37 |
| **1-خطوات منهج الكتابة التاريخية** | 37 |

| | |
|---|---|
| **2-موقفه من الكتابة التاريخية في الجزائر وتدريس التاريخ بالجامعة** | **39** |
| **الفصل الثالث: موقف المؤرخ ناصر الدين سعيدوني من بعض القضايا التاريخية** | **42** |
| **أولا: موقفه من الوجود العثماني في الجزائر** | **43** |
| **ثانيا: موقفه من المسألة البربرية** | **50** |
| **ثالثا: موقفه من الثورة التحريرية** | **53** |
| **الخاتمة** | **58** |
| **قائمة الملاحق** | **61** |
| **قائمة المصادر والمراجع** | **68** |